# ثلاثي الإنحدار

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الكتاب: ثلاثي الإنحدار

اسم المؤلف: أحمد هاني

التدقيق اللغوي: منى الضايع

تصميم الغلاف: وحيد محمد

الإخراج الداخلي: خالد محمود

رقم الإيداع: ١٥٥٠٨ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٨٧٤-٨٦-٢





ش- حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية


01020439639


massar.pub1@gmail.com

# ثلاثي الإنحدار





# إهداء

تجولت بين رفوف الكلمات لإنتقي منها ما أُعبر به عن شكر من كانوا سندا لنا وعونا في الطريق، فعجزت قريحتي عن العثور علي ما يوفيهم حقهم، أولهم أبي لا أجد وصفا يوفيك حقك، أبي هو سندي في الحياة بعد الله، شعاع الأمل، وبصيص، النور في أوقات الظلام الحالك في حياتي، حفظك الله من كل مكروه وسوء، ومتعك بموفور الصحة والعافية.

أمي نبع الحنان، وجه الأمان، الدعم المعنوي في وسط جفوة وقساوة الأيام، مهما بلغ الثناء فلن يوفيك ولو مقدار ذرة من أفضالك، رزقني الله برك، ومتعك بالصحة والعافية.

إخوتي هم سواعدي، ونور بصري، وملاذي الذي أركن إليه وقت شدائدي.

أصدقائي رفقاء دربي، ومن كانوا لنا عونا وسندا بعد الله، واخص منهم:

صديقي ورفيق دربي: صلاح بدوي.

محمد محمود «اوشا» فتحي محمد، عصام سيد، عبدالله عبدالهادي.

أهدي إليكم جميعا شكري وامتناني، ولكل من ساهم في تشجيعي ولو بكلمة وهم كثر، ولكن القلب يحتفظ بذكرهم.

# « تقديم »

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد:-

لما رأينا في الآونة الأخيرة استهداف الإسلام والمسلمين من قبل الجميع، حتى أنك لتجد كل مخالفين الإسلام يتقاتلون ويفني بعضهم البعض ولكنهم دائمًا يتفقون على إنهاء وإقصاء الإسلام، ومن واجبنا نحو الإسلام ونحن من أبنائه أن نقوم بالبحث حول الطرق المستخدمة في إضعاف المسلمين، لمعرفة مكمن الداء والعلة، فمن عرف داءه سهل دواءه. فوجدت تلك الطرق تنحصر في ثلاث قضايا لا تخرج عنهم:

القضية الأولى: قضية إضعاف العقيدة عند المسلمين، ومحاولة زعزعتها في قلوب وعقول النشيء الصغير؛ بإثارة الشبهات حول معتقده وما يدين به، ونظرًا لما تمر به الأمة من تخلف فكري وإهمال

علمي، فلا يصعب عليهم بث الشبهات أمام الجاهل، وهو أمر نبهت عليه الشريعة الإسلامية، وكان صلي الله عليه وسلم يحث أصحابه دائماً علي العلم، لمعرفته بإنه من متطلبات بناء الحضارات، والتقدم الإنساني بوجه عام. ووردت كثير من آيات القرآن الكريم تحث على طلب العلم ومنها قوله تعالي:{يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}، وكثيرا ما كان النبي صلي الله عليه وسلم يحث أصحابه على العلم، قال صلى الله عليه وسلم: رَوَى مُسْلِمٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (إِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ).

الجهل هو سبب هلاك وضياع الأمم مهما كان ثراؤها ولله در القائل:

بِالعِلمِ وَالمالِ يَبني الناسُ مُلكَهُمُ . . لَم يُبنَ مُلكٌ عَلى جَهلٍ وَإِقلالِ

إذن فنحن أمام قضية خطيرة يجب التنبه لها، ومحاولة معالجتها حتى لا تعود بنتائجها المؤلمة على الأمة أكثر من ذلك، وفي القصة الأولى نبين قيمة العلم في التصدي للصوص الفكر، فإن الشريعة

الإسلامية وإن أوجبت قطع يد سارق المال وحذرت منه، فإنها قد وقفت بالمرصاد للصوص الفكر وكشف رجالها قديما وحديثا فضائحهم أمام العالم أجمع.

القضية الثانية: تلك هي الطامة الكبرى في إضعاف المسلمين وذادت في الانتشار الآن وهي (التفكك الأسري بشتى صوره).

وهم في هذا النوع قد برعوا وأطلقوا لإنفسهم العنان في الفتك بالمسلمين بشتى الصور، واستخدموا المرأة كسلاح لهدم الأسرة، لذلك لا نعجب من كثرة التشريعات والأحكام التي اهتمت بشأن الأسرة؛ لإنها العمود الفقري والبنائي للأمة، وانطلاقا من هذا المبديء كتبت قصة تناولت وسلطت الضوء فيها على قضية معينة من قضايا الأسرة، مع العلم أن كثرة قضايا الأسرة لا عدد ولا حصر لها الآن؛ ضعف الوازع الديني عند المسلمين، وغياب عنصر الثقافة الزوجية، حتى تسبب في هلاك وتفكك كثير من الأسر، ولكن حاولنا مسايرة قاعدة:«ما لا يدرك كله لا يترك كله».

القضية الثالثة: قضية الإنهيار الأخلاقي في المجتمعات

الإسلامية ومنها: قضية فتنة النساء وأثرها على التحلل من القيم والمباديء الأخلاقية، وأثرها على إضعاف أي أمة تتفشى فيها تلك الأمراض، وليس ببعيدٍ عنّا ما روي عن النبي صلي الله عليه وسلم حينما حذر من فتنة النساء، نبه إلى أن أول فتنة وقعت في بني إسرائيل كانت هي فتنة النساء، ومن يراجع سجلات التاريخ يجد من ذلك كثير، وفي العصر الحاضر زاد الأمر سوءًا مع سعة التقدم العلمي والتكنولوجي، إلا أن هناك من يتربصون للإسلام، ويحاولون إضعافه بشتى صوره، ولكن اتخذوا من النساء المبدأ الأول، لذلك تجد كل عمل يقدم الآن يكون على صورة إغراء وافتتان، فشبكات الإنترنت لا تكف ليل نهار عن بث الخلاعة والعري الذي تنفر منه الطباع السليمة، وينشر الانحلال بين الناس، ولا تجد إعلانًا على مطعوم، أو مأكول إلا وتجد من يقدمه أنثى عارية أو شبه عارية، لماذا كل تلك المغريات؟

دائما اتذكر كلمة قالها أحد قواد أعداء الإسلام قال:

«كأس وغانية، تفعلان في أمة محمد ما لم يفعله ألف مدفع»

إذن القضية واضحة وضوح الشمس، إنهم قراء جيدون للتاريخ ومن يرجع لتاريخ الأندلس ويعرف سبب سقوطها، وسبب ضعف المسلمين يبقن تمام العلم سبب هذا الهجوم على المسلمين من هذا الجانب، لقد انتهت حروب السيف والمدفع، أما حروب اليوم فهي حرب الفكر والأخلاق، لطالما يوجد من همه إشباع غريزته الجنسية دون تحصيل علم، أو يساهم في تقدم الإنسانية في أي الجوانب، فلا تنتظر منه إلا الضعف والوهن، وشواهد التاريخ هي الحاكم بيننا.

وفي الجزء الثالث سلطنا الضوء على تلك القضية من خلال تجربة حقيقية كادت أن تردي بأفاضل الناس في تيار الانحدار والتردي في قاع الانحدار، ونسأل الله السلامة والعافية للإمة الإسلامية، وأن تعود إلى سابق مجدها، وأن يهدي شبابنا ويحصن بناتنا، ويرزقنا حسن الأخلاق.

الكاتب: أحمد هاني عبدربه.

# «لماذا يلحدون»

"العقل من أفضل ما خلق الله عزوجل فهو مناط التكليف والتشريف على سوى الخلائق، كما ورد عن أحد الحكماء قال:« خُلقت الملائكة وركب فيها العقل بلا شهوه، وخلقت البهائم وركبت فيها الشهوة بلا عقل، وركب العقل والشهوة في الإنسان، فمن غلبت شهوته عقله فهو شر من الحيوان، ومن غلب عقله شهوته فهو أفضل من الملائكة»

بالعقل يكون الإدراك، وبه يكون التكليف، ولحفظه جعله الله من الكليات الخمس الذي يجب المحافظة عليها شرعًا، وجرَّم كل من تعدي عليه بتشريع الحدود الشرعيةالمنصوص عليها في كتب الفقه مثل: حد شارب الخمر، والقصاص لمن تعدى عليه وأذهبه، ويعد من أشرف المخلوقات كما ورد عن النبي صلي الله عليه وسلم:« أول ما خلق الله العقل، فقال له: أقبل، فأقبل، ثم قال

له أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت أكرم علي منك، بك آخذ، وبك أُعطي، وبك أُثيب، وبك أعاقب» وذم قومًا لعدم إعمالهم لعقولهم فقادتهم إلى الإلحاد والكفر كما قال تعالي:«وقالوا لوكنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير» هم بلا شك كانوا يعقلون الأمور الدنيوية المعروفة، ولكن لم يتفكروا ويستعملوا العقل فيما خُلق لأجله وللوصول لحقيقة الخالق، والإيمان به فكان ذلك وبالا عليهم، قد يكون إغفال العقل ينتج عنه أضرار لصاحبه، وقد يكون شدة الذكاء والتفكير المتعمق في وسط ظاهري لا يقدر نعمة التفكير ينتج أضرارا على صاحب العقل، وتكاد تكون نادرة وكثيرًا ما رأينا ذلك في الأطفال، وربما من يتعامل معهم قليل الخبرة بالتعامل مع تلك الحالات فيكبت نعمة التفكير عند الطفل، لذلك تجد علماء التربية يحذرون من خطورة هذا التعامل مع الأطفال، ولنا في رسول الله صلي الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في التعامل مع الأطفال حينما كان يسلم على أطفال المدينة وهو يسير في الشارع، ذلك أمر له مرماه البعيد وهو محاولة طمأنة الطفل، فلا يجد ما يمنعه من البوح بما يمليه عليه عقله، ويكون هنا دور المربي،

إن وجد خيرًا أقره، وإن وجد غير ذلك قومه ووجهه.

وتلك قصة طفل متوقد ذكاء كاد ذكائه الحاد أن يلقيه في أعماق الإلحاد لولا عناية الله التي تداركته.

# «القصة»

كريم طفل في السادسة من عمره، طفل ذكي ذكاء يفوق سنه، وأفعاله تنبو عن ذلك، بما يفعله من مرح مع أصدقاءه تارة، ومع مشايخه تارة أخرى، ولكن الأمور لا تسير دائماً كما نحب، فبرغم ذكائه الحاد كان ذلك سببًا في أنه كان على وشك الوقوع في دائرة الإلحاد...

كان كريم يعيش مع أسرة مكونة من أب، وأم، وثلاثة إخوة أشقاء، وكان هو أصغرهم وكان في سن سبق أمثاله بذكائه وبكثرة أسئلته التي تنبو عن ذهن متقد شغوف للمعرفة، وحب المطالعة وذات يوم خطر له سؤال في ذهنه وهو في الكتاب يحفظ القرآن وهو يجلس مع زملائه، سؤال نادر قلما يخطر على ذهن طالب في ذلك السن المبكر، فسأل أصدقائه يا تُرى من خلق الله؟ فكل مخلوق لا بد له من خالق؟

فتعجب أصدقاؤه نظرًا لغرابة السؤال ولسماعهم له أول مرة، فاتجه كريم مباشرةً إلى شيخه إسماعيل الذي يحفظه القرآن وكان شيخه ذا جفاء وغلظه شديدة يتعامل بها مع الأطفال ولكن لم يكن ذلك سببًا في توقف كريم أمام أسئلته عاجزًا بدون جواب،فشغفه وحبه للعلم كان يقدمه على كل شيء حتى ولو أورده المهالك..

فوقف كريم في مقابل الشيخ وقال:

- بعد إذنك يا سيدنا ممكن اسألك سؤال؟

الشيخ: اتفضل يا كريم عاوز تقول إيه؟

كريم: يا مولانا مش كل مخلوق لازم يكون حد خلقه؟

الشيخ: أكيد يبني.

كريم: طب مين خلق ربنا ؟ ولم ينته كريم من كلمته إلا على صفعة على وجهه وصياح الشيخ في وجهه

- مين سمعك الكلام ده؟

أوعى تسأل عن كدة تاني، وإلا المرة الجاية همدك على رجلك

سامع يا ولد يلا روح على بيتك.

وينطلق الطفل كريم إلى بيته وعينه لا تكف عن البكاء وعقله لا يكف عن التفكير في السؤال تارة وفي رد فعل الشيخ تارة أخرى، فرجع إلى بيته مهموم القلب يغيم الهم على صدره، تاركًا العنان لفكره بكثرة تساؤلاته، تاركًا كل شيء خلفه غير عابئ بما يحدث، حتى أنه ترك  الطعام والشراب لا هم يشغل جل وقته سوى التفكير والاستغراق في التفكير علّه يجد جوابًا شافيًا لهذا السؤال، وظل على هذه الحال ما يقرب من ثلاثة أيام لا يتناول الطعام إلا قليلا بعد عناء والدته في معرفة ماذا أصاب ولدها فجأة وما تلك الحالة التي قد تردي به، وإذ بها تفاجئ بالهاتف يرن فذهبت لترى من المتصل؟

وعادت بعد قليل لتفرح ولدها بخبر زيارة خاله إليهم في الغد الذي يعيش في القاهرة ويعمل موظفا بالقاهرة. ويزورهم من حينٍ لآخر، وفي اليوم التالي ومنذ بداية اليوم وهي تنتظر قدومه؛ علّه يكون سببًا في انتشال ولدها مما أصابه، وانشرح صدر كريم بخبر

قدوم خاله إليهم، وتهللت أساريره لزيارة خاله التي لم تكن في الحسبان من ناحية، ولكن جاءت في أنسب الأوقات.

وكان يعزم على مشاورة خاله فيما حدث له وخاصة لعلمه بتواجد خاله وسط بيئة علمية علّه يجد عنده الجواب الشافي، وطرق الباب،جاءت الأم وفتحت الباب واستقبلت أخيها بالفرحة والترحاب ولكن ظهرت عليه علامات القلق عند رؤيته كريم بحالته تلك، عبوس وجهه وشعوره بالضيق، بالرغم من فرحة كريم بزيارة خاله، حيث التمس القلق وهزال جسده وكثرة انشغاله وسرحانه، وإذ به يجري مسرعًا نحو كريم قائلا:

- مالك ياحبيبي، كريم ماله يا سعاد؟

***

تعالي يا أخويا استريح وأنا هاحكيلك، من حوالي ثلاثة أيام وكعادته بأسئلته الغريبة قال أيه سأل الشيخ وبيقوله مين خلق ربنا؟ قام الشيخ ضربه وزعل منه.

الخال: ملهوش حق يزعل منه يا سعاد ده طفل وبيتعلم كان

جاوبه بأسلوب كويس، ومن حقه يعرف الإجابة وبضربه ليه أو إهانته كده بيوقف الابتكار الفكري والذكاء العقلي عند الطفل، والله ما أنا عارف أقولك إيه، بس لازم الولد نجد له إجابه على سؤاله، كريم طفل زكي ومش ذنبه إن عقله سابق باقي أصدقائه بس حلها موجود أنا راجع القاهرة بعد بكره إن شاء الله، وسوف آخذه معي يومين يتفسح فيها و يفك عن نفسه شويه وفي نفس الأمر نذهب للجامع الأزهر ونقابل واحد من علمائه والمشايخ الكبار ونسأله السؤال، وإن شاء الله نرجع بفائدة.

الأم: يا رب يا أخويا أحسن انا ممكن يجرالي حاجة لو الولد فضلت حالته كده.

الخال: اطمني يا أم كريم، إن شاء الله خير.

وبعد يومين سافر الخال سعيد مع ابن اخته كريم الطفل المتفوق، ووصلوا إلى القاهرة بالقطار وأول ما فعلوه أنهم اتجهوا مباشرة إلى مسجد سيدنا الحسين وصلوا فيه صلاة العصر، وقرأوا الفاتحة لسيدنا الحسين رضي الله عنه وأرضاه، وبعد ذلك ذهب الخال

سعيد وبحوزته كريم إلى الجامع الأزهر كعبة العلم ومنبر العلماء، وهم في الطريق يسأل كريم :

-بقولك يا خال؟

الخال: اتفضل يا حبيبي؟

كريم: هو ممكن المشايخ تجاوب على سؤالي ولا هيعملوا فيا زي ما عمل فيا سيدنا الشيخ؟؟

الخال: طبعا يا كريم الجامع ده فيه علماء كبار جدًا عندهم علم وإن شاء الله تجد عندهم مبتغاك، ثم إن الجامع الأزهر منذ أكثر من ألف عام رحابة ما زال مفتوحا لكل طلبة العلم ولكل من جاء يسأل عن أي فتوى شرعية وهكذا، فلا تشغل عقلك سوى بما تود علمه والسؤال عنه.

بس كنت عاوز اسألك سؤال؟

اتفضل يا خال:

أنت عقلك راح للأسئلة دي إزاي لإن صعب توصلك في

سنك ده؟

الحكايه بدأت من كام شهر، كنت بتابع برنامج تعليمي، بيقدمه واحد تنويري من أعلام الحرية، والإنفتاح كما يقول هو عن نفسه، وكان يتطرق لكثير من هذه الأسئلة، ويتركنا لنجاوب عنها نحن بإنفسنا.

وكان ده فرصه لإني اسأل كثيراً، ولكني وجدت شيخي بغلظته قبالتي.

وتعرف الشخص اللي بتسمعه ده إنه عاوز يضرك.

إزاي يا خالي بس، إذا كان هو بيقدم علم يفيد الناس هيضرني إزاي؟

هقولك يا حبيبي، هذا الرجل لص مخادع يدس السم في العسل، لكي يشكك في دينك وعقيدتك منذ الصغر وأنت لا علم عندك ولا اطلاع، وبذلك يسهل عليه أن يقنعك بما يشاء.

بس ده عنده علم هل يضرني علمه؟

شوف هحكيلك قصه حصلت لطفل زيك وقريب من سنك، كان في مدرس زي اللي بتحكي أنت عنه، وحاول تشكيك الطلبه وهم صغار في دينهم، فماذا فعل؟

قال لهم ذات يوم: هل ترون السبورة وأشار بيديه ناحيتها، فقالوا جميعا في صوت واحد نعم.

فقال لهم إذا السبورة موجودة.

وكرر لهم نفس السؤال علي، أشياء نراها بعين البصر، وفي كل مرة يؤكد لهم بإن ما نراه بالعين فهو موجود، وما غاب عن البصر فهو معدوم.

وعلي حين غرة رمي بسهمه المسموم للطلاب قائلا: هل ترون الله؟

قالوا لا.

قال لهم: إذا الله ليس بموجود. مستغلا صغر الطلاب، ولكن إرادة الله غيرت مجري ما كان يرمي إليه بخبثه، فقام أحد الطلاب

معترضا وقال له:

هذا كلام غير معقول وغير صحيح.

فقال له الأستاذ:

وما هو الصواب، إذا كان شئ لا نراه فكيف يكون موجودا؟

قال التلميذ وأشار لزملائه بنفس الطريقة التي كان يتحدث بها الأستاذ: هل ترون الأستاذ؟

قالوا نعم، قال إذا هو موجود. وعدد لهم أشياء كما فعل الأستاذ، ولكن غير آخر سؤاله قائلا لهم:

هل ترون عقل الأستاذ؟

قالوا لا.

قال إذا عقل الأستاذ غير موجود.

فبُهت الأستاذ من رد التلميذ وخاب ظنه ومرماه الخبيث.

العبره هنا أن لا تثق في كل من تزيا بزي أهل العلم، فكثير منهم يتسلحون به للفتك بمن حولهم، ويكون علمهم وبالا عليهم.

وأنا افرق بينهم إزاي يا خال؟

ده دور المعلم والمربي، إنك تسأل من هو أعلم منك وأكبر منك وتثق في علمه وأمانته، حتي لا يضرك هو الآخر، فالمعلم إذا لم يرد أن يفيد من أمامه استطاع ذلك دون أي إشكال علي حد وصف الشاعر:

إن المعلم والطبيب كلاهما **لا ينفعان إذا لم يكرما.

فاصبر لدائك إن أهنت طبيبه**واقنع بجهلك إن أهنت معلما.

فمن تبع سير العلماء وحذا حذوهم فقد عصم نفسه من مزالق الهوي، وأمن من الوقوع في زلات وغمرات الشبهات.

ابتسم كريم وهو يستمع لكلمات ونصائح خاله الثمينة، وساروا في طريقهم إلي غايتهم.

ووصلوا للجامع الأزهر واتجهوا إلى أحد العلماء المتخصصين في علم العقيدة والفلسفة، قال الخال:

- السلام عليكم ورحمه الله وبركاته،ازيك يا سيدنا الشيخ؟

الشيخ: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته اهلاً وسهلاً بيك يا ولدي.

الخال: لو سمحت يا مولانا ابن اختي ده كان عنده سؤال سبب له حيره وكاد أن يحدث له مشكلة نفسية.

الشيخ: وما هو السؤال؟

حكى له القصة أولا ثم تبعها بالسؤال..

الشيخ: تفضل يا ابني.

كريم: يا مولانا هل كل مخلوق فينا لا بد أن يكون له خالق ؟

الشيخ: طبعا يا بني وبعدين كمل..

كريم: طب يا مولانا مين خلق ربنا؟

الشخ: أنت ولد عسول وشكلك ذكي، ربنا ينفع بيك

كريم: ربنا يخليك يا سيدنا الشيخ.

الشيخ: هقول لك حاجه دلوقت يا ابني أنت قلت ربنا خالق صح؟

كريم: أيوة يا مولانا.

الشيخ: وبعدين بتقول مين اللي خلقه صح؟

كريم: تمام وبعدين..

الشيخ: السؤال ده فيه غلط عقلي ومنطقي

كريم: إزاي؟

الشيخ: أقول لك يا سيدي أنت كده جعلت الخالق سبحانه وتعالى خالق ومخلوق في نفس الوقت زي ما فرقت لك في السؤال مرة قلت خالق، وأخرى قلت مين اللي خلقه

كريم: فعلا قولت كده بس فين الإشكال؟

الشيخ: الخالق له صفات خاصه لا تنطبق على المخلوقين، كذلك المخلوقين لهم صفات لا يجوز أن نصف بها الخالق فكلاهما مغاير للآخر.

ثانيا لو قلت مين خلقه، هنمشي في تسلسل لا نهاية له يرفضها العقل السليم.

ثالثا: احنا بشر وعارفين إننا ناقصين، لإننا نحتاج إلي من يخلقنا، ويرزقنا، إلخ وهذا نقص،لإننا لا نستغني عن ذلك، أما في توحيدنا لله نؤمن بإنه كامل، كيف يكون كاملاً ويخلقه غيره ويكون محتاج له، فهذا ليس كمال.

كريم: فهمتك يعني ربنا ما ينفعش يبقي فيه صفات الخالق والمخلوق اللي هما البشر وغيرهم، صح؟

الشيخ: يا ابني زي ما أنت قلت كده.

كريم: طب ممكن سؤال كمان يا سيدنا الشيخ؟

الشيخ: قول يا ابني؟

كريم: في هذا الوقت بنشوف الناس اللي بتموت بالضرر والأمراض والشر اللي مخلوق في الدنيا هو مش ربنا رحيم بينا؟

الشيخ: طبعا يبني.

كريم: طب لما هو رحيم ليه بيعذبنا بكل ده؟

الشيخ: حاضر هجاوبك يا حبيبي ربنا يبارك فيك وينفعك

بذكائك يبني،بص يا سيدي، دلوقت لو واحد مرض شويه وقام بعدها بالسلامة من المرض بيقول إيه بعدها؟

كريم: بيقول الحمد لله على نعمه الصحة.

الشيخ: جميل هل تعرف لماذا قال ذلك؟

كريم: ليه يا مولانا؟

الشيخ: لإنه من خلال المرض قدر يعرف قدر قيمة الصحة،وبكده تقدر تقيس هذا المثل على كل ما تخفى عليك حكمته، لذلك العلماء قديما قالوا: «لولا الضر ما عُرف النفع، ولولا الشر ما عُرف الخير» ثم إن علمنا محدود بخلاف علم الله فهو مطلق لا حدود له وعلمنا حادث، أما علم الله فهو قديم.

كريم: فهمتك يا مولانا الشيخ.

الشيخ: عندك أي أسئلة تانية؟

كريم: لأ يا مولانا شكرًا جدًا لحضرتك يا سيدنا الشيخ.

الشيخ: باقولك إيه يا شيخ سعيدخلي بالك من ابن اختك

واهتمو بيه كويس، ما شاء الله عليه عقله ذكي جدا وربنا ينفع به الإسلام والمسلمين.

وذهب بعدها الخال راجعًا إلى منزله مع ابن أخته وفي أثناء الطريق نظر إلى كريم فرآه مبتهل الوجه منشرح الفؤاد فسأله:

- مالك ؟

كريم: مبسوط يا خال فرحت جدا لما سيدنا الشيخ جاوبني على سؤالي، ما كنتش أعرف إن الأزهر فيه علماء كبار كده كنت مفكر كل المشايخ زي سيدنا الشيخ ومعاملته الشديدة.

الخال: باقولك يا كريم، لوالشيخ مجاوبش على سؤالك كنت هتعمل إيه؟

كريم: كنت باقول في نفسي مش هصلي ولاهصوم وأقول ما فيش إله.

الخال: ياه للدرجادي؟!!

كريم: طبعًا أعبد عدم مش عارف حاجه عن اللي بعبده هل هو

موجود أم لا؟

وهل هو مخلوق أم لا؟

وإذا كان مخلوق فمن الذي خلقه؟

وهو أيضا بيضرنا وينفعنا، ويقول في القرآن إنه رحيم، هكذا من غير أن نعرف حكمته في أفعاله، والعقل لا يكف عن التفكير دائماً حول تلك الأسئلة فكان لا بد أن نجد لها إجابة وحتى لا نقع في مستنقع ستكون بدايته هذا الإنكار الذي ذكرته لك، ثم إن العبادة على نور أفضل من العبادة على جهل.

الخال: معك حق، أنت إيه رأيك ندخلك تتعلم في الأزهرالشريف هنا؟

كريم: يا ريت يا خال نفسي أبقى زي سيدنا الشيخ وابقى عارف في كل حاجه عن ديني.

الخال: بس كده لما نروح نكلملك أبوك وادخلك من أول السنة الجاية وتيجي تقعد معانا هنا في القاهرة يا شيخ كريم.

كريم: بس أنا لسه مش شيخ؟!

الخال: عارف يا سيدي بس هشجعك من دلوقتي.

كريم: ماشي يا خالي..

ومرت الأيام و دخل الطفل كريم المعهد الأزهري في القاهرة وكان متفوقًا جدًا شغوفًا بالمعرفة ينتهي من الكتب ويتطلع إلى المزيد دائماً وكان يتقدم على الأقران دائماً كعادته، وانتهى من المرحلة الابتدائية، والإعدادية والثانوية بتفوق جدا أتم خلال هذه المرحلة حفظ القران الكريم، وحفظ كثير من المتون العلمية في شتى العلوم وسمع شرحها في ساحة الجامع الأزهر، وكان كثير التساؤل وهذا ما حدا به دائماً إلى التفوق والتقدم على أقرانه، وبعدها دخل مرحله الجامعة وكان شغوف وانطلق إلى أكابر الموسوعات العلمية وخاصة ما يتعلق بجانب العقيدة الإسلامية والفلسفة،وكثير ما قرأ شبهات حولها يلتهم الكتب محاولاً الوصول لإجابات لها حتى يتأهل قبل أن يتصدر للعلم، وما يتعثر فهمه يأتي به و يسأل عنه حتى تخرج وأصبحت لديه حصيلة علمية كبيرة، وأصبح خريجًا في

كلية أصول الدين قسم العقيدة والفلسفة.

هذا الطفل الذي كاد أن يضيع مستقبله الإسلامي بسبب سؤال أملاه عليه عقله ولم يستطع شيخه الإجابة عليه لولا إلهام من الله سبحانه وتعالى، ومجئ خاله الشيخ سعيد في ذلك الوقت وفكرة الذهاب إلى القاهرة وتحول الطفل الذكي إلى واحد من أكبر المدافعين والمواجهين لموجات الإلحاد في العصر الحديث، وردشبهات المشككين في الإسلام وفي نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكان يسكن في القاهرة بجانب خاله الرجل الكبير في السن الذي كان في يوم من الأيام سبب من الله في انتشاله من الأفكار الهدامة التي يبنى عليها مستنقع الإلحاد، وغدا الشاب كريم متزوج وعنده ثلاثة أولاد، وكان دائم الزيارة لخاله وصلة رحمه والسؤال عنهم، وفي يوم من الأيام ذهب إلى خاله في زيارة عائلية وأخذوا يتبادلون أطراف الحديث حول المشاكل العامة ،ومن هذه المشاكل زيادة الألحاد في الحياه بصورة كبيرة جدًا التي تطورت على ما كانت عليه بشكل كبير، فسأل الخال:

- ما المشكلة والسبب الذي يؤدي إلى الدخول في دوامة الإلحاد يا شيخ كريم مع اتساع بؤرة العلم والتقدم التكنولوجي في هذا الوقت؟

كريم: والله يا خال الحال لا يسر عدو ولا حبيب والأسباب كثيرة بالرغم من التقدم العلمي والتكنولوجي كما قلت إلا أن عوامل الإلحاد بدأت تكثر في المجتمع وإليك أمثلة ليس على سبيل الحصر:

أولا: الانبهار بالحضارة الغربية المادية، وافتقار المسلمين للشعور بمواكبة الإسلام لتطورات العصر ظانين بذلك أن الإسلام هو سبب الجمود والتخلف، وأنه لا يفي بما يمليه الواقع، وذلك يكمن في قلة الوعي الثقافي والمعرفي ونتيجة الفهم الخاطيء لتعاليم الإسلام، فالركود الذي وقعت فيه أمتنا يرجع إلى الجمود الفكري والتواكل والاعتماد على الغير وإلصاق تهم التخلف والرجعية إلى الإسلام، وهذا أمر مدبر له ممن يكيدون للإسلام ويحاولون هدم الدين من داخله، والنموذج الدال على تطور ومرونة الشريعة

الإسلامية هي الدول الغربية التي لا تدين بالإسلام ولكنهم أخذوا تعاليمه وطبقوها في الحياة فاستجابت لهم نواميس الكون، فليس معنى أننا مسلمون أن الله سيخرق لنا القوانين ويصنع لنا المعجزات، لقد انتهى عصر المعجزات وكما قالوا «إذا قفز شخصان في البحر أحدهما مسلم والآخر كافر فلن ينجو سوى من يستطيع ويجيد السباحة>> هذه أسباب ربطها الله بمسببات لذلك «خذ بالأسباب واترك الباقي لمسببها، لتحقق مفهوم التوكل وتخرج من حيز <<التواكل>>

ثانيا: الترويج الغربي من أصحاب الديانات الأخرى أعداء الرسالات السماوية، ومحاولة تشتيت الأفهام وتشكيك الناس في معتقداتهم، وهذا السبب ليس وليد اليوم وإنما هو قديم بقدم التاريخ، وكان ممن اشتهر بهذا الفعل هم اليهود حتى في حياة النبي صلي الله عليه وسلم كانوا يبثون الشبه؛ لمحاولة زعزعة ثقة المسلمين بدينهم لذلك حذر منهم النبي كثيرًا ولا سيما القرآن حيث يقول المولى سبحانه وتعالى: «لتجدن أشد الناس عداوة

للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا».

ثالثا: التفرق والتشرذم الذي أصاب المسلمين وما تبعه من ردود أفعال بعض المسلمين التي تدمي القلب وانشغال المسلمين بعضهم ببعض بأسهم بينهم شديد، ورأينا العلماء المسلمين يناظرون بعضهم البعض ويكتبون المؤلفات للرد على مسلمين أيضًا وترك الأعداء يتربصون بالإسلام.

رابعًا: الفهم الخاطيء لنصوص الشريعة الإسلامية من غير المسلمين الذين لاعلم لهم بمقاصد الشريعة ولا بمدلولات الألفاظ، واللغة العربية، كبعض القضايا المثارة التي عُدمت بحثًا وردوا كقضايا الميراث، وقضية انتشار الإسلام بالسيف، وغيرها وتُستغل مثل هذه القضايا لتشكيك النشيء والعوام فلا بد من تصدي العلماء لمثل هذه القضايا.

رابعا: تصدر أكثر قراء الكتب على أنهم علماء، وهذه طامة كبرى من افتقاد الكثيرين للسند العلمي التي تمتاز به الشريعة الإسلامية والدال على أحقية العالم بالتصدر للعلم بشهادة علمائه،

وهؤلاء من المسلمين ولكنهم يخالفون المسلمين في آلية أخذ العلم فهم يتعجلون الخروج والتقدم، ولا يهمهم الجلوس بالسنين أمام العالم وإنما تجده قد أراد طريق العلم يقرأ لمدة شهر أو أكثر وتصدر بعدها للمشهد بدون أن يشهد له أحد بالعلم، ونسي وصية الإمام

مالك رحمه الله حينما قال: «لم أجلس للعلم والفتيا حتى أجازني أوشهد لي سبعين شيخا بذلك»، وبدون علم يقدمون صوره خاطئة عن الإسلام، وبذلك يكون الاستحواذ على عقول النشيء والعوام سهل ميسر أمام هذا الجهل الديني والمعرفي، ومن بين تلك الأفكار نشأت جماعات مسلحة تدعي الإسلام وتكفر كل من خالفها بسبب الفهم الخاطيء ويشوهون صورة الإسلام أمام جميع البشرية.

وهناك أسباب كثيرة لا يقتضي المقام لذكرها خشية الإطالة، فالعقل والتفكير لا حكر عليه وخاصة في دين الإسلام، على العكس لم تأت ديانة أو شريعة رفعت وارتقت بالعقل لمعالي السمو مثل الإسلام والقرآن الكريم والسنة النبوية شاهدة على كل هذا،

ولكن العقل وحده لا يستقيم ويستطيع إدراك الحقائق مستقلا بنفسه ولنذكر ما قاله الإمام الغزالي رحمه الله في بيان اتحاد العقل والشرع وبيان أن كل منهما مكمل للآخر كما قال الإمام الغزالي: اعْلَم أَن الْعقل لن يَهْتَدِي لَّا بِالشَّرْعِ وَالشَّرْع لم يتَبَيَّن إِلَّا بِالْعقلِ، فالعقل كالأس وَالشَّرْع كالبناء وَلنْ يُغني أس مَا لم يكن بِنَاء وَلنْ يثبت بِنَاء مَا لم يكن أس وَأَيْضًا فالعقل كالبصر وَالشَّرْع كالشعاع وَلنْ يُغني الْبَصَر مَا لم يكن شُعَاع من خَارج وَلنْ يُغني الشعاع مَا لم يكن بصر فَلهَذَا قَالَ تَعَالَى: {قد جَاءَكُم من الله نور وَكتاب مُبين يهدي بِهِ الله من اتبع رضوانه سبل السَّلَام ويخرجهم من الظُّلُمَات إِلَى النُّور بِإِذْنِهِ} وَأَيْضًا فالعقل كالسراج وَالشَّرْع كالزيت الَّذِي يمده فَمَا لم يكن زَيْت لم يحصل السراج وَمَا لم يكن سراج لم يضيء الزَّيْت وعَلى هَذَا نبه الله سُبْحَانَهُ بقوله تَعَالَى:" الله نورالسَّمَوَات وَالْأَرْض" إِلَى قَوْله {نور على نور} فالشرع عقل من خَارج وَالْعقل شرع من دَاخل وهما متعاضدان بل متحدان وَلكَون الشَّرْع عقلا من خَارج سلب الله تَعَالَى اسْم الْعقل من الْكَافِر فِي غير مَوضِع من الْقُرْآن نَحْو قَوْله تَعَالَى{صم بكم عمي فهم لَا يعْقلُونَ} وَلكَون

الْعقل شرعًا من دَاخل قَالَ تَعَالَى فِي صفة الْعقل {فطْرَة الله الَّتِي فطر النَّاس عَلَيْهَا لَا تَبْدِيل لخلق الله ذَلِك الدّين الْقيم} فَسمى الْعقل دينا ولكونهما متحدين قَالَ {نور على نور} أَي نور الْعقل وَنور الشَّرْع .

-أبو حامد محمد الغزالي

لذلك فلا بد من استحداث في وسائل الكشف والرد على كل الشبهات المثارة، وتوعية النشيء، من خلال المسجد، والإعلام، والمدرسة، ودور الأسرة، في مواجهة هذا السيل الجارف الذي ينذر بخطر كبير لو لم يتصد له أحد.

صدقت يا كريم فكثيرا ما نري من يتصدرون للرد لا جديد عندهم، وإنما يستخدمون نفس أساليب الرد القديمة، ولا تتناسب مع التقدم العلمي وكثرة البحث والإطلاع. وجانب العقيدة لا بد وأن يحاط بسياج من القداسة، لإن الإنسان أقوي ما يحركه هو جانب العقيدة، فمن فقد عقيدته فقد سهل اقتناصه واستغلاله، والناظر في بداية الدعوة الإسلامية يجد مصداق ذلك، فمع كثرة الخطايا والأخطار الأخلاقيه إلا أن الإسلام أول

ما اهتم به اهتم بترسيخ العقيدة في نفوس المسلمين،وبعد تشرع الأحكام ويكون القبول سهل، والدفاع عن الدين والوطن ايضا يكون عن عقيدة، أفضل من غيره.

فمن فقد عقيدته ودينه فلا تسأله عن حب وطنه أو إخوانه، لا تسأله عن أخلاقه الفطرية في وسط عالم يموج بالفاحشة، طالما فُقدت العقيدة فلا تسأل عن وحدة كيان ديني تجمع الكل تحت كنفه ورعايته، ليخرج الي الدنيا لإقتحام اسبابها وتفجيرها بالعمران والنمو، إذا فقدت العقيدة دب الخلاق والتشرذم بين الناس ولا يكون هناك رابطة تجمعهم يتجمعون تحت لوائها، وينساب كل شخص يعمل بإشارة هواه وغيه فيعيث في الأرض فسادا، إذا فقدت العقيدة فما هي قيمة الحياة التي نعيشها، ومن أجل ماذا خُلقنا وماذا بعد الموت، كل هذا ما تنطوي عليه العقيدة السوية الصحيحة، وبفقدانها يكون الإنسان حيا بجسدة، وقد رمت وماتت روحه، فإذا كان الإنسان يحتاج إلي الطعام والشراب ليكمل مسيرة الحياة، فإن العقيدة هي بمثابة طعام الروح، وإذا

فقدت فمهما كان ثراؤه ومهما كان علمه سيقع حتما في تيار الكآبة والأمراض النفسية التي تنتهي غالبا بالإنتحار، نظرا للخواء الروحي الذي يدب في شخصية من لا عقيدة له ولا دين.

# «وعدتني فأخلفتني»

تمر الأيام تباعًا ولكن لا كما نريد ونهوى، وتلك هي سنة الله في عباده، لأداء الاختبار الدنيوي الذي خلقوا من أجله، والاختبار بالحرمان  والفقد من أقوى وأشد الابتلاءات، وخاصة إذا تعلق القلب بمن نحب كان ذلك ادعى للتأثير على حياتنا»

في ساعات الصباح الأولى وبينما يشق الفجر طريقه لبزوغ النهار وذهاب سواد الليل، دقت الساعة السابعة مصاحبة معها رنين جرس المنبه لإيقاذ طارق الغارق في نومه ولكن لا حياة للنائم، إن ناديته فلن يجيبك، جاءت الأم عائشة من المطبخ على أثر صوت المنبه ولايزال طارق غارقًا في النوم، فتبدد النوم بدخول والدته لإيقاظه.

– قوم يا باشمهندس حتى لا تتأخر عن محاضراتك في الكلية.

طارق: صباح الخير يا أمي.

الأم: صباح الخير يا حبيبي، نهض قائماً وقبل أيديها وانطلق نحو الحمام ليتوضأ لصلاة الصبح، وكان يرثى لحالته التي وصل إليها بعد ما كان قديما لا تفوته صلاة الفجر في جماعة ولكنها الدنيا وتقلباتها، إذا لم تشبع قلبك بنور الدين والقرآن سيغرق في خضم من بحار الشهوات والملذات، وكما قال أحد الأعلام:

أبليس ونفسي والدنيا والهوي. .كيف الخلاص وكلهم أعدائي.

إذن فلا بد من المواجهة والرجوع إلى ما كنت عليه ولكنه بالتدرج والاستمرار، كان هذا هو ما يشغل لب طارق أن يعود بعد أن فاق من نكبته وينظر لمستقبله نظرة تفائل للحياة، فهو شخص طموح ولديه أحلام وأمنيات تستحق التعب من أجل تحقيقها، لذا يجب على أن أقاوم نفسي لنيل ما أتمنى، فالمنال بعيد ولكن بالإصرار والعزيمة تتحقق المستحيلات ولا بد من المعاناة في سبيل الوصول لذلك قالوا: «بقدر ما تتعنى، تنال ما تتمنى»

وبعد انتهائه من صلاته كانت والدته قد أحضرت الإفطار فأكل

مع الأسرة ثم خرج مسرعًا إلى الكلية، فهو طالب في الفرقة الثالثة في كليه الهندسة و يسكن في القاهرة لا تبعد عن الكلية كثيرًا حتى أنه لو كان الوقت ممتدًا فإنه يمشي إليها سيرًا على الأقدام، وفي هذا اليوم وبينما هو سائر في طريقه يدندن بصوته آيات القران الكريم سمع صوتًا جاء من خلفه ينادي:

- طارق انتظر يا ولدي!!

فالتفت فوجد العم زكريا خلفه، أقبل عليه وسلم عليه ،العم زكريا جار في نفس المنطقة منذ زمن بعيد، رجل اجتمعت فيه من صفات الأخلاق قلما تجتمع في رجل آخر، فهو صبور، حكيم، عاقل، وأنا طيلة حياتي لم أسمع عنه كلمة سوء، لا من منزلنا ولا من الجيران عنه فهو نعم الجار وقل ما ترى مثله في هذه الأيام التي انحدرت فيها الأخلاق والقيم وتبدلت حتى أصبح من المخزي أن المتحلي بالأخلاق يشار إليه بالبنان، وكأنه نموذج شاذ عن المجتمع الذي نحيا فيه.

-أكيد رايح كليتك يا طارق؟

طارق: أيوه يا عم زكريا تفضل.

العم زكريا: فضلك يا الله يا حبيبي، خذني معك أنا ذاهب قريبًا لقضاء مهمه بجانب الجامعة، وكنت أود الحديث معك حول عدة أمور!!

طارق: طبعًا تفضل يا عم زكريا تحت أمرك في كل ما تريد.

العم زكريا: هيا بنا أنت طبعًا عارف مقامك عندي يا طارق؟

طارق: طبعًا يا عم زكريا بتعتبرني دائما زي ابنك.

وأنا دايما اعتبرك كوالدي، كويس في بداية حياتك كنت تسير باستقامة وكنت تعجبني وأتفائل بك دائما لكن في الفترة الماضية تغيرت أحوالك، افتقدناك في صلاة الجماعة في المسجد، وأخبروني بأنك لا تذهب إلى الكلية إلا قليلا، و لما سألت عنك والدك أحزنني ما أخبرني به من تبدل في أحوالك ويعلم الله أنه لولا حق الأبوة التي أكنها لك ما سألتك عن شئ فأنت تعرفني لا أُحب أن أتدخل في أمورٍ لا تعنيني، ولكن كلما كان العجز والتقصير في جانب الدين كان من الواجب عليّا أن أُوجهك وآخذ بيديك في طريق الله «ونعم

الرجل من يشد من إذر أخيه في طريق الحق في مثل هذه الأيام»

طارق: أولاً أنا أقدر اهتمامك جدا يا عم زكريا وهذا هو ما عهدناك عليه من حب الخير للجميع ولا نزكيك على الله، وثانيًا لقد مررت بإسوأ تجربه في حياتي، في أقسى أيام حياتي وعانيت منها لدرجة أني تمنيت الموت ووصلت إلى مستوى لا أعلم كيف وصلت إليه وسوف احكي لك ما حدث معي بالتفصيل، ولكن عدني ألا تحدث به أحد بعد ما ننصرف من هنا، لأني ويعلم الله ما حدثت بها أحد إطلاقًا قبلك حتى أبي وأمي لم أقل لهم.

العم زكريا: تفضل يا طارق يا ولدي وسرك مصون لا تخف.

طارق : تمام ، الحكاية ابتدأت في العام الأول لدخول الجامعة وكعادة أي طالب يكون خارج من مرحلة الثانوية إلى المرحلة الجامعية تفرقت أنا وأصدقائي على سائر الكليات، كل منا حسب ما رغب وأراد، وفي كلية الهندسة تعرفت من بداية العام على أصدقاء كثر في نفس دفعتي وتوثقت بهم صلتي بشخصين على الأكثر وهم: شاكر، نادر، وكانت نتيجتنا في الثانوية عالية جدًا ومتقاربة، فكانت

صداقتنا مناسبة من جانب تفوقنا العلمي، ومن جانب توافقنا العلمي والفكري فقد لا نكاد نختلف كثيرًا في أغلب الأحيان، وكنت قبل دخول الجامعة لم أفتح كتابًا خارجيًا قط، فقد كنت ألتزم بالمنهج المقرر فقط، وفي أحد الأيام وجدت نادرا يعرض على المشاركة في برنامج لتحدي القراءة، فقلت له بسخريه:

- أنا لم افتح ولم اقرأ كلمة خارجيه عن المنهج الدراسي، هل تريدني أن أتحدى كيف ذلك؟

فقال لي: كنت مثلك يا صديقي إلى فترة قريبة حتى شجعني أحد الزملاء والآن أصبحت أكثر شغفًا بالقراءة وتحدي القراء، وبدأت الفكرة تلامس أعماق قلبي وانشرح فؤادي لها وخاصة بعد ما تذكرت نصيحة أحد أساتذة الثانوية قائلا: «مرحله الجامعة هي مرحلة التحصيل العلمي والتفوق، وإثبات الذات والقدرة على العطاء ومدى التوسع الفكري الذي توصل إليه الطالب في تلك المرحلة، فلا يكن همك النجاح والتقدير وإنما احرص على القراءة والإطلاع والتوسع كثيرًا، فمن فاتته هذه الفرصة لن تأتيه مرة

أخرى»

فقلت له: أنا موافق ولكن ليس لدي خبرة في أي الكتب أقرأ وكيف أقرأ مثلك وكيفية التحدي الذي تتحدث عنها، فقال لي لا تستعجل الأمور يا صديقي وأنا سأشرح لك كل ما تريد، أولًا ادخل على الفيسبوك وابحث عن« مشروع أصبوحة ١٨٠ » ثم قم بإرسال رسالة لهم وقل لهم أنا مشارك جديد واتبع معهم الخطوات، وبعد ذلك سنقوم باختيار الكتب سويًا، فقلت له: حسنًا يا صديقي.

ثم قمت بالإرسال حسب ما أملي على صديقي، و قاموا بالرد على واتبعت ما قالوه ونويت البدأ.

وفي اليوم الثاني سألت نادرا:

– ماذا يعني «أصبوحة ١٨٠»؟

فقال لي: هذا مشروع تطوعي يا صديقي يهدف إلى بناء العقول على حب القراءة والاطلاع، والتشجيع المستمر لتكون من كبار القراء ويرتفع بك الى مرحلة ما بعد القراءة إلى التعمق والنقد البناء، وإذا كنت تمتلك ملكة التعبير اللغوي فلا مانع أن تكون

كاتبًا عظيمًا بعد تكوين الملكة الأدبية والنقدية في هذا المشروع.

- ومن يكون صاحب هذا المشروع؟

-هذا مشروع تطوعي تشارك فيه أغلب أبناء وبنات الدول العربية على مختلف اللهجات ومختلف الفئات العمرية، ونسب التعليم، وهو حقيقةً مشروع عظيم« فمن يهتم ببناء العقول في العصور الحالكة هم من يستحقون أن تسجل أسماءهم في سجلات العظماء بأقلام من نور» ونحن بحاجة إلى كثير منهم الآن في عالم يهيم في طور المادية وطغيانها.

-بما تنصحني بالبدء في قراءته؟

- أولاً: لابد أن تعرف إنك ممكن تشارك في أي مجال، في الإطلاع سواء ثقافيًا، أو دينيًا، أو رياضيًا، أو علم النفس إلخ...

ولكن حاول أن تكون قراءتك مجدية،لأن في كثير من القراء من يتعمق في القراءة بحثًا عن الخيال والرعب ومما لا فائدة منه علميًا وأدبيًا على أرض الواقع، لتكن همتك النظر بعين الاعتبار للواقع، ومحاولة الإصلاح فيه بقدر استطاعتك فهذه كانت سمة

العلماء دائمًا، فإن لم تكن منهم على الأقل يكفيك شرف أن تحاول التأسي بهم.

ثانيا:سأدلك على كتاب عظيم الفائدة من وجهة نظري، فقد تغير مجرى حياته تمامًا بعد قراءته وتطبيقه عمليًا، وهو كتاب «نظرية الفستق» للكاتب السعودي فهد عامر الأحمدي، وهو كتاب تنمية بشرية حقيقة سيحدث فيك تغييرًا ستعرفه بعد ذلك، وبعد انتهاء محاضرات الجامعة في ذلك اليوم نذهب إلى أشهر أماكن القاهرة لبيع الكتب.

- ماذا تقصد بهذا المكان يا صديقي؟

- سوف نذهب« إلى سور الأزبكية» من أشهر المناطق في مصر لبيع الكتب القديمة والجديدة وبأسعار مخفضة جدًا.

- ولماذا نذهب إليه؟

-فالكتب والروايات تباع خارج الجامعة في المكتبات،مهلًا يا صديقي، أنت في بداية الطريق فقد تهوى القراءة وتمر عليك الأوقات مثلي لا أجد مما أشتري به طعام يسد رمقي، أو ثوب

جديد؛ بسبب أنني هممت أن أشتري كتابًا جديدا، أو ذهبت لمعرض كتاب.

-إلى هذه الدرجة يا صديقي؟!

-وأكثر فلماذا قالوا: « من ذاق عرف، ومن عرف اغترف»

وبعد انتهاء اليوم الدراسي توجه الصديقان لشراء الكتب من ذلك المكان، قام نادر باقتناء عدد من الكتب، وحاول طارق أن يفعل مثله فنهاه نادر قائلا:

- القاعدة الأولى: في عالم القراءة لا تشتري كتابًا قبل أن تقرأ ما اشتريته سابقًا قراءة كاملة؛ حتى لا تصاب بالملل فالكتب كالطعام يعجبنا لونه، أما طعمه فكلنا يحكم عليه من خلال نظرته وفكره، وميوله، وهواياته له، ثم لا تبدأ بقوة فتخر قواك وتترك المجال كله عن بكرة أبيه.

القاعدة الثانية:« قليل من القراءة مع المداومة، قادر على تحويلك إلى علم في الفن الذي تقرأ فيه»

حاول وابدأ بقراءة صفحة واحدة يوميًا، ثم زد عليها كل فترة حتى ترسخ قدمك.

- حسنًا يا صديقي، وافترقا وعاد كل منهم إلى منزله، فلما فتح طارق الهاتف فوجد رسالة من فتاة استغرب ودخل ليرد عليها، فوجد الرسالة متعلقة بمشروع القراءة، ثم تحدث معها وعرف منها أنها تمثل القائد، أو المشرف المسؤول عن الفريق للإشراف على إنجاز أعمال القراء، وحل المعضلات التي تقابل أعضاء الفريق، وتقييم العمل الأسبوعي، وفهم منها كيفية المشاركة في وضع الإنجاز، وبدأت بقراءة أولى كلمات الكتاب على غلافها، وكانت:« نظرية الفستق، كتاب سيغير طريقه تفكيرك وحكمك على الأشياء»

تفائلت وبدأت بالقراءة والتزمت بما قاله صديقي فهو ذو خبرة في هذا المجال، وفي اليوم الثاني تقابلوا معًا وحكى طارق ما حدث معه، فما كان من نادر إلا التشجيع والحث على الاستمرار..

-ولكن هناك مشكله يا نادر.

- ما هي؟

- هل تعرف أن القائد المسئول أنثى؟

- ماذا يعني؟

- أنت تعرفني فأنا لا أحب التعامل مع النساء إلا في أضيق الحدود منعًا ودرأ للفتنة.

- مهلًا يا صديقي هي مجرد شخص موجود ولمساعدتك إذا احتجت إليه، أما إذا لم تجد ما يدعوك للحديث فلا تواصلها إطلاقًا وكأنها ليست موجودة، أيضًا لو أردت الانتقال من فريق إلى آخر فلا توجد مشكلة حسب ما تريد أنت يا صديقي.

-أنا أخاف من مصايد الشيطان فأنا أعلم بحال نفسي، وهذه تعد خلوة شرعية، وكثيرًا ما نسمع عن جرائم من هذا القبيل.

- كلامك صواب؛ ولكن غالبًا« من يفعلون هذه الأمور أُناس أصحاب قلوب مليئة بحب الشهوات عافانا الله وإياكم أما أهل القراءة فلا؛ لأن القراءة كالماء تغسل العقل من إدران ودنسات الفكر والهوى، مع مشاركة الجانب الروحي والتربوي، وبها تستقيم النفس وتتسامى بك إلى مراحل الكمال»

سار على هذا المنوال مدة في تحدي القراءة وتقدم بشكل أسرع، مع تفوق كبير في دراسته أيضًا، إلى هنا لا توجد أي عقبات، وتبدأ العقبات تتوالى معي في الفرقة الثانية، و بشكل أدقّ في نهاية امتحانات العام الدراسي عندما عدت من آخر يوم في الامتحانات كنت أشعر بفرحة عارمة ككل الأصدقاء وبعد الرجوع إلى المنزل، فتحت هاتفي وكنت أتجول على السوشيال ميديا وكنت منفردًا في المنزل لا يوجد سواي، وفجأة وبدون مقدمات وجدت اتصال على الإنترنت ثم دُهشت من رؤية اسم المتصل من يا ترى؟

أنها علياء هي تلك الفتاة التي تكونت معها صداقة سطحية بحكم عملها إشراف على مشروع التحدي، وكنت قد عاهدت نفسي على عدم الكلام إلا في وقت الضرورة، معها حتى لا نقع في الخلوة المحرمة ولم يحدث بيننا كلام إلا قليل، وفي أضيق النطاقات كل ما تحدث مشكلة، إذن ما الذي يجعلها تتصل به وتطلب محادثته فيديو!!

أيضًا هذا أمر يثير الشك والريبة بلا خلاف.

فكيف تطلب هذا الأمر بدون مقدمات وبدون سابق كلام، فقلت لا بد من الرد عليها وأعرف ماذا يحدث؟

وضغطت على زر القبول وظهر أمامي آية في الجمال الملائكي، عيون تشبه عيون الغزال، لا تستطيع النظر إليها إلا وتدمن النظر إليها، وتسترق القلب وتشغله، والشعر أشبه بالحرير في جماله، ووجه في الجمال لا مثيل له، وحدثتني بلغتها؛ حيث أنها ليست من نفس الدولة التي التي أقيم فيها، ولكنها مسلمة وعربية مثلي، وبعد إلقاء السلام وتبادل التحيات، لم أجد ما أقوله وخاصة أن هذه أول مرة أتحدث فيها مع فتاة لا يجمعني معها حاجه تستحق الحديث، واضح عليها هذا الشعور أيضًا، يظهر أن كلينا استجاب لنداء الشيطان دون أن يدري ما عواقب الانسياق خلفه و تحدثنا قليلا ثم تواعدنا على الكلام في الغد، لأن هذا اليوم غير مناسب لأني مرهق من آثار الامتحانات، وعندها تذكرت قول الشاعر متخوفًا:

نظرة فابتسامة فسلام. .فكلام فموعد فلقاء.

ثم ارتميت على سريري وذهبت في نوم عميق حتى جاء اليوم التالي وكنت أنتظر بشغف للوقت الذي تواعدنا عليه تُرى لماذا؟ هل لأن هذه أول مرة اتحدث فيها مع أنثى غريبة عني أم ماذا؟ .. لا أدري.

هو شعور داخلي لكن لا أستطيع أن أصفه، حتى جاء وقت الموعد المنتظر، وجدتها هي من تتصل أسرعت الخطى نحو غرفتي وأغلقت الباب خلفي جيدًا، ثم وضعت سماعات الأذن في أُذني ثم أكملت وقمت بالرد مسرعًا وتبادلنا التحيات وبدأ الحديث يسترسل مجددًا، وحينها تذكرت معها أول كلمات لنا بينما كانت تحثني على الجد والقراءة والتقدير، وكنت أُجيب على قدر السؤال فقط،وتمر كل هذه المدة لا نتحدث إلا عند حدوث أي مشكلة ولكن في هذه الأثناء ونحن نتحدث بشكل عام عرفت منها أنها أصغر مني بعام واحد وتسكن في الجزائر، وتبعد عن العاصمة الجزائرية مسافة كبيرة في سكنها مع أسرتها، ولكنها تسكن في أيام الدراسة مع خالتها التي تسكن في العاصمة نفسها؛ لأن العودة

لمنزل أهلها  كل يوم يشق عليها، وأخبرتني أن المنزل أيضًا كان فارغًا ولا يوجد أحد وبينما أنظر إلى وجهها تذكرت الصورة التي تضعها على صفحتها الشخصية بالنقاب فسألتها:

-هل أنت  منتقبة يا علياء؟

- قالت: نعم.

قلت لها: لماذا تريني وجهك إذا؟

قالت: لا أعرف، فيك شيء يجذبني نحوك للحديث  دائمًا رغم قلة حديثنا، ونحن في مأمن لأننا نتكلم في العلم فلا تخف.

أثار جوابها دهشته جدًا، فهي منتقبه وتريني وجهها وشعرها هذا ما لا تُحمد عقباه، ثم ونحن نتحدث باستمرار وحينما كانت تتحول رأيت منها كثيرًا من مفاتن جسدها وأنا أستغرب هل هي تستأمنني لهذا الحد؟

أم أن هذه الفتاة مجنونة بعقلها؟  أم أنها من من يعيشون في طرق الحرام دائمًا ويظهرون للناس بالمظهر الحسن؟

تأكدت من شعوري وإحساسي الأول، فقلت لنفسي فى سياق الحديث لاختبارها فقلت لها:

- ممكن سؤال يا علياء؟

- فقالت: تفضل يا طارق.

- ليه جسمك باين أمامي وخاصة أنه يظهر بعض المفاتن؟

-الجو هنا حر لا يطاق، وأنا أجلس بمفردي في المنزل فقلت أفرج عن نفسي، وكانت نزعاتي في حيرة، فجانب الخير يقول لي: اتق الله فإن طرق الشيطان ووساوسه لا تنتهي حتى يقع بك في الخسران.

وجانب الشر على الناحية الأخرى يحثني ويقول لي: لا عليك يا صديقي استمر واستمتع إنها أول مرة تكون فيها مع فتاة، وتتحدثون في العلم والقراءة، وحتى لو فعلت شيئًا فإن الله غفور رحيم، فحينها اطمئن قلبي لنداء وألاعيب الشيطان، وانسقت خلفه لأجدنني أطلب منها مباشرة، طلب لو كنت أعقل وقتها ما طلبته إطلاقا، ولكن الشيطان لا يجعل الإنسان عاصيًا متمردا من

أول وهلة؛ وإنما يستدرجه واحدة تلو الأخرى حتي يقع في شباكه.

طلبت وقلت لها: علياء.

قالت: نعم.

قلت لها: أريد أن أرى جسمك وأنت عارية تماما؟

ابتسمت في استحياء، وقالت: لماذا؟

قلت لها: أنا مبهور بهذا الجمال الظاهر وأريد أن أرى جمال مفاتنك، وكدت أُصعق من ردها على سؤالي كنت أنتظر منها أن تغلق في وجهي الاتصال، أو أن تقوم بتوبيخي، أو تفعل أي شيء يدل على الاعتراض من جهتها، ولم أجد نفسى إلا بعد دقيقه واحدة أمام جسدها عاريًا في غاية الجمال، وطلبت منها أن تقرب الكاميرا منها أكثر، وبعد دقائق مع رحلة قذرة انتهينا من هذه المكالمة، وكانت محطة أخرى في حياتي، فلم استمع لنداء الحق والخير في هذه الأيام في قلبي، أو لم يكن يصلني صوته؛ نتيجة سماع صوت اللعين أبليس واتباع خطواته، أما أنا فاتبعت طريق شهواتي، وبعد انتهاء هذه المكالمة كنت أشعر برغبة في معاودة الاتصال، وعودة مكالمتها،

وكنت معتقدا أني برؤيتي لها هكذا  سأتوقف عن كل عمل قذر ولكن؛ لله در القائل:

فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها . .إن الطعام يقوي شهوة النهم.

المعصية لا تعالج بمعصية أُخرى، وإنما تفتح الباب لما هو أكبر منها، و حدث بالفعل فقد تعلق قلبي برؤيتها وبالحديث معها واستمر ما بيننا هكذا، وتعلق بها قلبي لهذا الأمر، وأصبح الحديث معها عادة يومية،وحينها احتقرت نفسي، ففي أي  المنحدرات أنا نازل ولماذا لم أُبالي  بكل نصيحة من أي شخص يتوجه بها إليّ فما عدت أذهب  إلى المسجد الآن إلا إلى صلاة الجمعة فحسب، وقليل من الصلوات بشكل لافت للنظر، حتى تحدث معي أكثر من شخص ولكني لم أعيرهم أدنى  اهتمام.

وكانت والدتي تتقطع حزنا علي، ولكنها لم تتحدث معي خوفًا عليّ من والدي حتى لا تثار نزاعات، ولكن كان أبي يلحظ ذلك وكان يؤنبني دائماً ولكني كنت أحاول إرضائه في أكثر الأمور، ولكني ما عدت أذهب إلى الكلية إلا نادرًا، وتبدل مسار حياتي

بدرجة كبيرة حتى أنني تركت القراءة، رغبةً في الحديث مع علياء والسهر إلى وقت الفجر، وكنت حقيقة في طريق الانحدار، ولكن عناية الله دائماً هي من تحرسنا وفي أحد الأيام كنت أسهر إلى منتصف الليل ودخلت المطبخ لأتناول شيئًا من الطعام وسمعت صوت أمي وهي تجهش بالبكاء، فلم استطيع تحديد ما تقوله إلا بعد أن اقتربت من غرفتها، رأيتها من بعيد دون أن تراني، فكانت ترفع يديها إلى السماء وتدعوا الله عز وجل بأن يردني إلى صوابي، وأن يلهمني التوفيق والسداد، وكانت تبكي وتتوسل إلى الله، وكانت كلما على نشيجها بالبكاء كلما وجدت قطرات الدموع تتقاطر من عيني دون إرادة.

ولم أدرِ كم مر من الوقت على تلك الحالة ولم أشعر بمرور الوقت إلا عند قيامها، فخرجت مسرعًا إلى غرفتي دون أن تراني وجلست مع نفسي إلى آخر وقت من الليل أتفكر في حالي وفي ما آل إليه أمري، أهكذا أرد إليهم الجميل!!!

أهكذا يجب أن أكون في تلك الطرق المؤلمة بعد ما كنت يومًا

طالبًا مثاليًا كما كانوا يلقبونني!!!!

وكان أكثر الأشخاص يتمنون أن يكون أبناؤه مثلي، ودموع أمي لم تفارق مخيلتي وذهني، وكلما تذكرتها بكيت أكثر، ولم يمضِ وقت وأنا على تلك الحال حتى سمعت صوت قرآن الفجر، وكان القاريء يقرأ في قوله تعالي: « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله»

حينها أدركت أنها قد تكون رسالة ثانية من الله إليّ، ولم أتردد لحظةً واحدةً فخرجت مني كلمة بصوت يملؤه الحزن والانكسار فقلت: قد آن يا رب، قد آن يارب، وانتظرت حتى أُذن لصلاة الفجر، وقلت تبدأ توبتي من الآن، فلا ندري هل لنا بقية من العمر لنؤجل التوبة أم لا، توضئت وذهبت قبل والدي إلى الصلاة، فوجدت الوجوه في المسجد ما بين من استغرب لوجودي، ومن تهللت اساريره وفرح، وكانت لذة انتصاري على نفسي لا يقاومها لذة، وصليت الفجر وعدت مسرعًا وحينها شعرت براحة لم أجد لها مثيلا إلى الآن، ولما دخلت المنزل، أمي لم تصدق عينيها من

هول الدهشة وكانت الدموع تترقرق من عيني، أسرعت الخطى وارتميت في أحضانها وأنا أبكي وقالت:

الحمد لله الذي لم يخب رجائي فيك، وردك إليّ سالمًا وأرشدك للصواب.

فقلت لها: الكل نصحني، والكل حاول توجيهي إلا أنت لماذا يا أمي؟

قالت: لم ولن أتخلى عنك في لحظة واحدة، بينما كانوا ينصحونك جميعًا ووقفوا بجانبك، لم يقف لساني عن الدعاء والابتهال والتضرع إلى الله، أن يرشدك إلى الصواب.

الحمد لله الذي وهبني أمًا قلما يجود الزمان بمثلها، فقمت من فوري وتجهزت للذهاب إلى الجامعة، مستعينًا بالله، ولن تقف أمامي أي ضائقة ما دمت في طريق الله، و ذهبت إلى الجامعة وتركت التصفح على الإنترنت لمدة تزيد على أسبوع حتى تهدئ أعصابي، وأستطيع العودة والتهيؤ للجو العلمي والمسيرة المستقبلية، ولكن كان هناك عمل ينقصني، وهو إنهاء العلاقة بيني وبين علياء

ولخوفي من الفتنة قمت وصليت ركعتين ودعوت الله فيهم أن يثبتني على طريق الحق، ثم بدأت وتحدثت معها وأخبرتها بكل ما حدث، وشرحت لها خطورة ما نقدم عليه وحرمة ذلك شرعا، وما يهدد به مستقبلنا، والعجيب الذي لم أكن أتوقعه منها أنها كانت تبكي، فقلت في نفسي تبكي لألم الفراق وهذا أمر طبيعي، فالمدة التي قضيناها معا ليست بالقصيرة، فقد كنا على مشارف عام كامل ونحن نتحدث معا.

وتعلقت قلوبنا ببعضها البعض فلما سألتها عن سبب البكاء ذادت دهشتي بها أكثر، وقالت:

- اعتذر لك يا طارق عن كل ما حدث، فلقد كنت أنا السبب فيه ولكن حينما أثق في شخص يكون تعاملي معه بعفوية ولا أستطيع أن أتمالك نفسي.

فقلت لها: طالما اتفقنا على خطورة ما نفعله فهذا هو أول حل للمشكلة ولا نريد أن تتزايد.

فقالت على الفور: وأنا مستعدة لأي عمل أُكفر عن ذنبي،

وأتخلص من هذا، قلت لها:

- أولاً: سأطلب نقلي لفريق آخر يكون المشرف عليه رجل؛ خشية الفتنة؛« لا يلدغ المسلم من جحر مرتين»

فقالت: تمام، قلت لها:

-ثانيا: نقطع كل اتصال يكون بيننا، نحن هنا في خلوة محرمة، فلا توجد بيننا أدنى قرابة أو معرفة يحق لنا التحدث في كل هذه الأمور بعد ما فُتنا، حتى ولو أمور عامة فأنت رأيت كيف بدأ بعمل شريف، ولكن ذلك الشيطان لن يتركنا وشأننا؛ لذلك نترك كل ما يسقط بنا في طرقه.

-أوافقك الرأي.

والآن قبل أن أنتهي من الحديث معك أود أن أصارحك بشيء، وأقول لك نصيحة.

أما بالنسبة للنصيحة فأقول لك:

- أنك من أجمل خلق الله خَلقا وخُلقا، ويشهد الله أني لا

أجاملك، فلا تجعلي نفسك لقمة مستساغة لكل من جاء إليكِ، فلا تجعلي قلبكِ مسكنا إلا لمن أراد الدخول من الباب، ورغب فيكِي بالحلال.

الإسلام كرمك ورفع قدرك، فلا تكوني أنت أول من يهين نفسه، ولتكوني كما شاع عند الكثير: « الممنوع مرغوب، والموجود مزهود فيه»

وكل ما كنت ممنوعة من هذه الأفعال لا يستطيع الوصول إليك إلا من يريدك في طريق الحلال، وتشرئب إليك الأعناق وتكونين مرغوبة للجميع، أما النوع الآخر فلا أريد أن أحدثك عنها فعاقبتها معروفة.

أما الثانية: وهو ما أريد أن أصارحك به، كلمة تكررت على لساني كثيراً؛ ولكن كل مرة كنت كاذبًا، ولكني الآن أقولها صادقا، والدليل على صدقي ما يتبعها من فعلي، ثم تشجعت وقلت لها:

علياء أنا بحبك بجد وعلشان بحبك هخاف عليكِ من عذاب الآخرة، علشان بحبك هحاول أوصل ليكِ في الحلال، مقدرتش

يكفيني شرف المحاولة، وأكون قد فعلت كل ما أستطيع فعله من أجلك، ولكن بدون الخطأ والوقوع في جانب من جوانب الدين يجعلني أفقد ديني، فليس معنى فقدانك هو فقدان الحياة، وإلا لما استقام العيش لعاشقين افترقا. ورددت هي نفس الكلمات واعترفت بحبها لي.

وتفرقنا على أمل الإجتماع تحت عش الزوجية، ومنذ ذلك اليوم وأنا أسعى جاهدا لتحقيق كل أحلامي، فهنالك من له حق علينا ونحب أن نراهم سعداء ويتشرفون بنا وليس من أجل من أحببتها.

وإلى هنا كانت نهاية ما عانيته يا عم زكريا في هذه الأيام.

العم زكريا: الحمد لله الذي أنقذك من براثن الشر والهلاك، ولكنك كنت رجلا جلدا أبيت وصممت للرجوع.

-أجل ولكن دائماً كانت نفسي كثيرًا تحدثني أن أراسلها بحجة شريفة؛ وهي أننا أعترفنا بالخطأ ولن نعود مرة أُخرى، وفي أحيان أخرى بحجة أني سآخذ رأيها في أحد الكتب؛ ولكن كنت انتهى في وقتها، واتذكر دموع أمي، فرؤيتها في ذلك الوقت كانت نقلة

أُخرى في حياتي، ومن وقتها وأنا أهتم بمستقبلي، فديون أمي لا أستطيع سدادها، أنا أرى أن أمي بقعة النور التي أُرسلت إليّ من قبل الله عزوجل لتنير ظلامي الدامس.

العم زكريا: للأسف يا طارق نحن أسأنا استعمال نعم الله كثيرًا، وبدلنا نعمة الله كفرًا، وبدل أن نستخدم وسائل التواصل والتقدم التكنولوجي في وجهته السديدة، أخرجناه من حيز الخير إلى خدمة شهواتنا والحصول على ما نرغب به، ولا أقصد تجربتكم على وجه التخصيص، فأنت بطل في نظري وأنت بفضل ورحمة الله استطعت أن تخرج منه؛ ولكن هل تعلم كم عدد من بقى، وكم عدد من يرتمون خلف هذه الشاشات، لو بحثت لوجدت كثيرًا من الأفعال التي تدمي القلب، فهناك من الأشخاص من ترك بيته، ومن ترك زوجته، ومن ترك دراسته، وهذا ما يجعلني استشعر الخوف حينما أقرأ قوله سبحانه و تعالى: "ولا تكونوا كالذين نسواالله فأنساهم أنفسهم" تلك هي الكارثة الكبري:فتنة النساء.

هل تعلم يا عزيزي أن أول مصيبة أُصيب بها المسلمون وأحدثت

بينهم دويا مفجعا؛ بسبب فتنة النساء، لذلك لا تتعجب من كثرة تحذيرات النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، حينما قال:

« ما أخوف على رجال أُمتى من بعدي فتنة أشدّ من فتنة النساء»

- لماذا؟

-لأنه قد علم بهلاك الأمم من قبله، وسبب هلاكهم، وأن أول مصيبة أُصيب بها بنو اسرائيل كانت فتنة النساء، ولقد صدق حدس النبي صلى الله عليه وسلم، وننتقل الآن إلى قصة حدثت في الأندلس حاضرة الإسلام وشاهدة التقدم الإسلامي في زمانها، لما أراد أحد ملوك قشتالة مراقبة الأندلس لمعرفة وقت الضعف والوهن الذي يصيب المسلمون؛ حتى يطمئن هل وصلت الأمه الإسلامية لحالة الضعف للإنقضاض عليها أم لا، فقام بإرسال أحد رسله وتنكر في زي رجل عربي ودخل الأندلس وبعد عبوره نهر وجد مجموعة من الفتيان الأندلسيين يتدربون على رمي الأسهم و لكنه لفت انتباهه فتى وجده يجلس بعيدًا عن باقي الفتيان يبكي،

فتوجه إليه يعرف منه ما هو سبب بكائه؟

فجلس إليه وسأله، فقال له الفتى: رميت عشرة أسهم فأخطأت في واحدة، دهش الجاسوس لهول ما سمع من كلام الفتي كيف لنا بهزيمة هؤلاء، لو جمعنا لهم جنود الأرض ما استطعنا أن نكسر تلك العزيمة.

لكنه التفت إلى الفتى وقال له: ولكن هذا شيء عظيم من عشرة أسهم يخطيء واحد فقط، فرد الفتى قائلا:

لكن في المعركة لو أخطأ أحد الأسهم سيقتلني العدو، أو سيقتل أحد إخواني، فدهش الجاسوس وارتعد من إجابه هذا الفتى وكيف له أن يفكر بهذا التفكير.

عاد من فوره إلى ملكه وأخبره أن لا يفكر في قتال المسلمين، ولما استغرب الملك من كلام الجاسوس قص عليه أمرهم، وقال له: إذا كان هذا حال الفتيان في الأندلس فما الظن بحال جيوشهم ورجالهم؟

والله لو ذهبت إليهم سيقطعونك إربًا إربًا، وعرض عليه الملك

حرب من النوع الآخر، تستغرق وقتًا أطول ولكنها أشدّ من صليل السيوف، وحرب الدماء، قال:

-«بالشهوات والملذات تستطيع أن تفعل بهم ما لم تستطع أن تفعله السيوف»

وأوقعوا شباب المسلمين في الشهوات حتى وهنت قواهم، وبعد أن كانوا فرسانًا بالليل في محاريب الصلاة وبالنهار أسود في ميادين القتال والإصلاح والبناء والتعمير، أصبحوا والحال يرثى لهم، منهم من يهيم على قول قصيدة في وصف المحبوبة، ومنهم من يبكي لفراق حبيبته وينشدها أن تبقى بجانبه، فلما مرت مدة على تلك الحالة، جاء الجاسوس كسابق عهده في اكتشاف أحوال المسلمين، وعندما عبر النهر وجد شاب أندلسي يجلس على قرب صخرة حول النهر يبكي، فتوجه إليه وسأله عن السبب؟

فقال له كلمة كانت هي الآذان برحيل المسلمين من تلك البلاد وأشعرته بمدى الوهن والضعف الذي أُصيب به المسلمون.

قال له الفتى: وعدتني فأخلفتني قصد فقد محبوبته، فرح

الجاسوس وتهللت أساريره وقال:

-الآن قد حان محاربة المسلمين، وعاد إلى ملكه وأخبره بما رآه وقال:

إن شباب كهذا ليس لديهم القدرة على الدفاع عن دينهم، وإن محاربة المسلمين في الأندلس قد حان موعدها، فقاموا بمحاربة المسلمين ونكلوا بهم وأذاقوهم الويلات وانتهت رحله المسلمين في الأندلس.

وليس هناك ما يرعبني أكثر من وقت أقرأ قوله تعالى:{ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا} فترك الصلاة أمر متلازم مع الغرق في الشهوات والملذات، ولما دققت في الأمر وجدت الإجابة في قوله تعالي:{إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر} والشهوات هي أساس الفحش والمنكر، فلا يجتمعان في قلب المؤمن أبدًا، لابد لإحدهما أن يخرج الآخر.

لذلك فإني أخاف على هذه الأجيال التي لا نرى إلا أقل القليل منهم يذهبون إلى بيت الله، فهذا ينذر بالخطر القادم نحو مستقبل

الإسلام، وفي تلك الأثناء كانوا على أول شارع الجامعة، وحينها أتجه كل منه إلى وجهته بعد أن وصاه عم زكريا بأن يكون حريصًا على نفسه من فتنة النساء وشهواتها، وعن كل ما يشغل عن طريق الوصول للهدف المنشود.

«وليست المشكلة أن تقع في الخطأ، لأننا بشر بحكم فطرتنا؛ ولكن الخطأ يكمن في أن تزل القدم فتفتر عن إنقاذ نفسك هنا يكمن الخطأ وتوقع الخطر».

ولرب ضائقة أصابت أحدهم فكانت نهايته، واعتبر بها الآخرون فكانت سببًا لنجاتهم، فنحن في كنف الله نسير.

«انتهت»

***

هذه قصة حقيقية وقعت بين شاب مصري وبين فتاة مغربية، وكل ما ورد فيها واقعي فعلًا وليس فيها مجال للخيال، وفي مشروع تحدي القراءة، ولكن الأسماء مستعارة حفاظًا على هوية الأشخاص، كما طلب مني من رواها لي، أسأل الله عزوجل أن

يهدي شبابنا وبناتنا وأن يرزقهم العفة وأن يجمع بينهم في طريق الحلال كما تركوا الحرام إرضاءً لوجهه الكريم إنه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين.

# رفقًا بالقوارير

قد تتشابه أحوال الناس في ما يقع لهم من أحداث، ولكن الذكي هو من يأخذ العبرة من غيره دون أن يقع في فخ التجربة؛ لإنه لا يدري هل سيتحمل ما يقع له أم سيجزع وينهار أمام ما يحدث له. تلك كانت وصية دكتوره هند، خريجة كلية الهندسة، والتي تعمل بالحرم الجامعي. وكانت متأثرة بتلك الكلمات، وعلي حين غرة وقعت منها دمعة سريعة، ومن الواضح أنها تذكرت شيئا متعلقا بتلك الكلمات. فتقدمت إليها إحدي الطالبات مستفسرة عن سر تلك الكلمات وقالت: دكتورة هند من الواضح أن لتلك الكلمات ذكريات معك. لم تستطيع أن تخفي ما ظهر، وأرادت أن تكمل ما بدأته فقالت لها:نعم هناك حدث مشابه حدث لي وغير مجري حياتي تماما.وما هو يا دكتورة لو لم يكن أمر شخصي ولا يزعجك.قالت لها: لا هو حدث أتمني أن يستفيد من الأخرون، ومن كل خطأ نقع فيه، نتمني

أن يتعلم منه الغير؛ حتي يتحاشي الوقوع فيه. كانت الدكتورة تعامل طلاب الجامعة كأصدقاء لها وأخوات، تمزح معهم، وتطمئن علي من يغيب، وكان بابها مفتوحا لهم بصدر رحب، فمن مر بضيق ورزق بمن ينتشله من أوحاله، يكون أبصر بمن يمر بحالته ويقدر حالته. ثم بدأت تحكي لهم قصتها التي غيرت مجري حياتها تماماً.

العلاقة بين الذكر والأنثي بدأت مع أولى نبضات الحياة، ومع دبيب أول قدم للإنسان على ظهر الأرض، فبدأت منذ خُلِقَ سيدنا آدم، حينما خلقه الله من قبضته ونفخ فيه من روحه وسواه، وصوره في أحسن تقويم، ثم تبعه بخلق أُمنا السيدة حواء( رضي الله عنها) من ضلعه، وسماها حواء؛ لأنها خلقت من حي وهو أبونا آدم أبو البشر، ثم خلقها منه وهو نائم حتى لا يتألم ويشعر ببغضها في يوم من الأيام ويتذكر أنها آلمته، ومنذ ذلك الحين وأصبحت المرأة قرينة الرجل ومؤنسة وحشته، لا يستطيع العيش بدونها وهي أيضا لا تستغني عنه يمدها بأسباب الحياة المادية من طعام وملبس ورعاية، وتمده بالحب والحنان بحكم عاطفتها التي تميزت بها عنه، ويساير

هو الأمور بعقله وفهمه وجعل كل منهما له وظائفه وخصائصه التي ينفرد بها عن غيره، وفي ذلك للتآلف والتراحم كما ذكره في كتابه، قال تعالى:- (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)

فبهذه المعايير والأسس تستقيم الحياة ويعمر الكون حسب ما أراده الله سبحانه وتعالى، وهذه النبذة المختصرة التي يعلمها كثيرٌ من الناس عن بداية خلق البشرية وسبل الحياة بين الذكر والأنثى، إلى هذا الحد...

انتهى الأستاذ وليد من شرح مادة التربية الدينية الإسلامية المقررة على طلاب مرحلة الشهادة الإعدادية للبنات وكان الدرس يتعلق بسبل المعيشة بين الذكر والأنثى على طول المدى منذ بداية الخليقة إلى الآن، وإذا بجرس الفسحة يضرب وينتهي الأستاذ من حديثه قائلالتلاميذه: نكمل إن شاء الله في الحصة القادمة وللموضوع بقيه.

ثم حانت ساعة الخروج من الفصل للاستمتاع بالفسحة بين الزملاء، فتقابل الزملاء وهم: هند، علياء، نور وسميحة، طلاب هذه المرحلة المقربين من بعضهم البعض، وإذا بنور تسأل صويحباتها:-

- أين هند؟؟

قالوا : أنها لا تزال في الفصل لم تخرج حزينة ولا نعلم ما بها.

علياء: قوموا بنا لنعرف ماذا حل بها.

دخل الأصدقاء الفصل وإذ بهند منهارة في البكاء، قالت علياء:

-ما بكِ يا هند؟؟

هند: ليس هناك شيء، كل شيء على ما يرام.

- لماذا لم تخرجي معنا؟ ومنذ فترة أحوالك لا تسر، ووجهك بهتان.. ماذا حل بكِ؟

انهارت هند في البكاء وارتمت في أحضان صديقاتها فقالت لهم:

-لقد تقدم لي عريس في هذا الأسبوع.

قالت إحدى صديقاتها : وما المشكلة في الأمر؟

ردت نور: ألسنا متفقين على أن نكمل مسيرة التعليم معا؟؟

كنت أظن الأمر سهل وبسيط لكن المشكلة في البيت وأهلي موافقون على العريس ويقولون أنه شاب كويس ومناسب ولا أجد فرصة للاعتراض، وكل ما أحاول أن أبرر لهم أنني ما زلت صغيرة يقولون لي( البنت ما لهاش غير بيت جوزها هتاخدي إيه من التعليم) ومن وقت لآخر: أنظري لبنت خالتك إللي تزوجت وهي في مثل سنك، وهكذا إلى ما لا نهاية في ضرب الأمثلة، ولا أجد طريقًا للخلاص، وكل ما أقول إني صغيرة يقولوا لي شوفي السيدة عائشة تزوجت من النبي صلى الله عليه وسلم، وكان عمرها ٩ سنوات إيه المشكلة إنك (تتزوجي وتتستري بدري) يا بنتي نحن خائفون عليكِ، وهكذا وأنا بصدق كرهت الدنيا، وكرهت نفسي، وأشعر بضعف ولا أدري ماذا أفعل؟؟

نور: طيب يلا يا هند نخرج قبل الفسحة ما تخلص، وإن شاء الله سنجد حلا، وبعد خروج الزملاء إلى الفسحة وضرب الجرس

وكانوا منشغلين بهند وبما حل بها، فهي صديقتهم ويحزنهم ما يحزنها، ثم قامت علياء مرة واحدة مناديه لقيت الحل، وإذا بالكل في صوت واحد:

- وما هو؟

المدرسه خديجة هي الوحيدة في المدرسة القريبة منا و كل الطلاب يذهبون إليها، كل من يريد مشورة أو يريد فعل شيء يذهب إليها، فهي مشهورة بعقلها الراجح، وقلبها الرقيق، الفياض بالحنان، وربما تمد لنا يد المساعدة والعون أو تدلنا على طريق النجاة من هذه المشكلة، فما رأيكم يابنات؟

قالوا في صوت واحد:

-لا مشكلة في أن نذهب إليها، قالت علياء:

- بعد الحصة الرابعة يكون هناك حصة فارغة نذهب إليها و نحكي إليها ما يحدث وإن شاء الله نجد عندها ما نريد.

ذهبت الطالبات إلى الأستاذة فلم يجدوها وسألوا عنها فقالوا

لهم لقد مرضت وذهبت مبكرًا، تأسف الزملاء على هذا الخبر، وقالوا: خيرًا إن شاءالله، ثم تفرق الزملاء في نهاية اليوم الدراسي شادين على إذر هند ومؤازرين لها بألّا تحزن وإن ما عند الله خير، وأنهم لن يتركونها، ثم غدت هند إلى البيت ودخلت وألقت السلام وسط الأسرة وإذا بالأب ينادي على ابنته هند: يا هند

هند: نعم يا أبي.

الأب: جهزي نفسك يا حبيبتي وتزيني بأفضل ما عندك، فالعريس الذي تحدثت عنه معك أنا ووالدتك سيأتي غدًا مع أسرته،فحاولي أن  تأتي من المدرسة مبكرًا، أولا تذهبي من أول اليوم.

هند: لا يا أبي سأذهب وآتى مبكرًا.

وتمسك هند دمعتها من النزول بعد ما ترقرقت وحانت أن ينفلت  صوتها بالصراخ، فكانت تتمنى أن تطلق العنان لصوتها بالصراخ وعينيها بالدموع، ولطالما أرادت أن تموت في هذه اللحظة التي ظنت ورأت فيها ما مدى الانكسار والذل الذي تراه من

والديها بحجة الخوف على مصلحتها، ثم أومأت برأسها لوالديها ودخلت غرفتها وارتمت بين أحضان سريرها فلم تشعر بمن حولها بعد استمرارها بعض الوقت في البكاء حتى غفت وذهبت إلى النوم العميق، وفي الصباح أيقظتها والدتها للذهاب للمدرسة فقامت ولبست دون أن تفطر مكتفيه بمرارة الألم الذي يجيش بصدرها« فحين تتكاثر عليك الهموم لا يسعك إلا التوجه لباب الحي القيوم الذي لا يغلق أبواب رحمته أمام المستضعفين ومن يرجون رحمته»

وأكدت عليها والدتها بالرجوع باكرا قبل مجيء العريس المنتظر، ثم ذهبت إلى المدرسة والتقت بالأصدقاء وحكت لهم ما حدث فقالوا لها: قد جاءت الأستاذة خديجة والحمد لله، الأمر أصبح واقعًا هيا بنا يا بنات على الأستاذة، خبطت نور الباب..

- ادخل، فتحت الباب ودخل البنات جميعهم.

- اتفضلوا يا بنات في حاجة ولا إيه، طالما متجمعين كدة أكيد في مشكلة؟!

-هند حضرتك أنا في مشكلة وأصحابي عرضوا عليا نعرضها

على حضرتك، يمكن نلاقي حل.

- تفضلي يا حبيبتي أنا زي والدتك تكلمي.

قالت هند: دلوقتي متقدملي عريس وأنا مش موافقة عليه وعاوزه أكمل دراسة، بس أهلي رافضين كلامي عايزين يزوجوني بالغصب ليس أمامي حل، كل ما أرفض يقولوا لي؛ بنت عمتك في سنك، تزوجت والسيدة عائشة تزوجت في سن تسع سنين، (واحنا عاوزين نسترك) إلخ!

وأنا ضاق صدري بما يحدث ولا أدري كيف أتصرف، وترقرقت عيناها بالدموع وانهارت باكية، فقامت الأستاذة حاضنة لها، قائلة:

-لا تبكي يا حبيبتي سنجد حلا إن شاء الله.

نور: إزاي يا أستاذة والعريس متقدم وجاي النهاردا لكي يراها.

قالت الأستاذة: يرى ماذا؟؟

المشكلة في هذا العصر أننا بعدنا عن الدين ولما حبينا نتمسك به فهمناه على غير المراد.

قالت هند: مثل ماذا؟

ردت الأستاذة: أقول لكم بعدنا عن الدين في فهمه وتطبيقه زي ما والديها أرادوا أن يقنعوها، بنت عمتك بنت خالتك تزوجوا في مثل سنك، هل هذا منطق نسير عليه!!

نجعل حياتنا تقليدًا للآخرين بدون نظر واستيعاب، العقول ليست واحدة، والظروف ليست واحدة فلا نجعل حياتنا مقياسًا لما مر به الآخرون.

ثم إن عقد الزواج من أخطر العقود في الشريعة الإسلامية لذلك أُخذت فيه الأمور بحيطة وحذر؛ حتى لا يتزعزع ويترتب عليه فشل وينهار النظام المجتمعي، نأتي نتكلم وننظر في طريقة زواج السيدة عائشة رضي الله عنها، فقد تزوجت في سن تسع سنين فعلاً، وظلت هذه المسأله في العصر الحديث تحدث إشكال عند من يقحمون أنفسهم في فهم الأحكام من القرآن والسنة مباشرة دون الرجوع للعلماء، متوهمين أن الإسلام ظلم المرأة، وهم جاهلين به ولا يفهمون مقصود الشارع الحكيم، وبسبب بعض المتطرفين

الذين أرادوا أن يعيشوا زمن النبي، ولم يريدوا تطبيق منهج النبي ويجرون النصوص على ظاهرها بفهم ضيق وقعوا في نفس الأمر.

يا بنات تعرفوا إن الأمر يختلف من بيئة لأخرى، وهو منوط بمقدرة المرأة عقليا وجسديا ونفسيا على تحمل الزواج وتبعاته، فعند العرب كانت المرأة سريعة النضج بحكم البلاد الحارة، سريعة البلوغ، قادره على التصرف وتحمل الحياه وسبلها، وهذا ما حدث مع السيدة عائشة فعلاً، ودليله أن هذا كان السائد عند القوم أنها كانت مخطوبة من رجل ما قبل سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إن الكفار كانوا يتمنون أي سقطة للنبي صلى الله عليه وسلم، فلو كان هذا العمل مشينا لما تركوا تلك الفرصة في النيل منه وحاشاه فهو المعصوم.

وهكذا كان السائد في عصرهم ولم ينتج عنه أي ضرر، وكانت الحياه تسير ولا مشكلة، أما الآن أصبحنا في عصر وهنت فيه الأجسام ولترف الحياة أصبحت البنات والأولاد مترفين، فتقل عندهم الخبرة في مثل هذا السن، وإدخالهم مباشرة إلى الحياة الزوجية

في الغالب تنتهي و تبوء بالفشل، ونحكم على الإسلام بأنه جمود ولا يصلح للوقت المعاصر، وليس العيب في الإسلام، وإنما العيب في التطبيق الخاطيء والفهم السقيم لنصوص الشريعة السمحاء، ومن أجل ذلك خرجت الهيئات القضائية ووضعت قانونا بعدم تزويج الفتاة تحت عمر الثمانية عشر، هو السن الذي تتكون فيه الخبرة عند الفتاة في الغالب، وتكون ذات عقل إذا تزوجت تستطيع أن تساير الأمور، إذا أنجبت تربي وتحوط أسرتها بوافر من الحب والعناية،حينما رأو الضرر الواقع على كثير من الأسر، وحينما زادت معدلات الطلاق؛ نظرًا لكثرة زواج ما يسمى( زواج القاصرات).

-طب والحل يا أستاذة؟

-لا عليكم يا بنات أنا أذهب معكم بعد انتهاء اليوم الدراسي وأكلم والدتها وأشرح لهم الأمر من الناحية الشرعية والقانونية، والخطورة التي قد يرتكبونها في حق ابنتهم، بصوت واحد قلنا:

- متشكرين جدًا لحضرتك يا أستاذة ولا حرمنا الله منك.

-تحت أمركم يا حبايبي في أي وقت تحتاجوني فيه، يلا على

فصلكم وفي آخر اليوم سآتي لأخذ هند ونذهب للبيت معًا.

ذهبنّ إلى الفصل والبهجة لاتفارق وجوههن، وفي آخر اليوم جاءت الأستاذة خديجة واصطحبت هند إلى بيتها، وبينما يسيران في الطريق، قالت هند:

- أنا خايفة يا أستاذة من أتيانك معي.

الأستاذة: لا عليك أذهبي أنتِ وأنا سآتي بعدك، وكأني لا أعرف شيئًا منك وإنما من أصدقائك.

هند: اتفقنا يا أستاذة، فذهبت هند ودخلت وإذا بأبيها مبتهجًا مسرورًا، فقد أتى اليوم الذي سيفرح فيه بابنته فوجد الابتسامة مرسومة على شفتيها ظنها تفكر مثله وتفرح كما يظن ولم يعرف ماذا يدور بخلدها، فقال لها:

- يلا يا حبيبتي ادخلي تزيني وتجملي قبل ما يأتي العريس، إنه على وشك الوصول.

دخلت غرفتها منتظرة مجيء الأستاذة، فدق جرس الباب فقام

الوالد بفتح الباب مرحبا ضيوف المنتظرين، وإذ بهند تسترق السمع فوهن سمعها حينما سمعت والدها يتحدث مع الشاب:

-اتفضل يا هيثم يا ابني عامل إيه، أخبارك طمني عليك؟

كان من المفترض أن تأتي الأستاذة، فسبق العريس المنتظر ووالده ووالدته برغم ما أبلغوها أنه سيراها فقط واضح أنه قد رآها من قبل وهي لم تشعر، وقد أتى لمقابلة رسمية يتمون بها أول خطوة للخطوبة، كانت الدنيا تدور بها من هول ما حدث وتفكر يا ترى ما يحدث لو جاءت الأستاذة هل تتصادم مع أبي وتكلمه أمام الناس، أم تأتي وتطلب محادثةأمي، ولم ينتهِ حبل التفكير حتى رن جرس الباب مرة أخرى، وكانت أمي قد أنذرتني قبلها بالاستعداد للخروج بالعصير للضيوف فأنا المرجوة في هذا اللقاء، ذهب أبي وفتح الباب، وسألت المدرسة أبي:

-هل هذا منزل الطالبةهند؟

فقال: نعم تفضلي.

قالت: إذا أنت والدها؟

قال: نعم، هل هناك أمر ما؟

قالت: خيرًا بس كنت محتاجة من وقت حضرتك خمس دقائق.

قال: في هذا الوقت لا يمكن هناك، ضيوف عريس هند وأهله في الداخل ولا يصح أن اتركهم الآن.

قالت: ليس هناك مشكلة الموضوع عام ممكن أدخل هم خمس دقائق فقط، وكما ذكرت الموضوع عام لا يحتاج لخصوصية.

قال: تفضلي.

قالت: السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

الضيوف: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، جلست الأستاذة، ونادى الأب على ابنته بالمشروب، وهند كانت قد تجهزت ودخلت فلما رأت الأستاذة انتابها شعورين مختلفين: هل تفرح لأن الأستاذة قد أتت لإنقاذها، أم تحزن لخوفها من المصادمات التي قد تحدث بين والدها والعريس والأستاذة، فقدمت المشروب وكانت ذاهبة إلى المطبخ وإذا بالأستاذة:

-هند ثواني من فضلك؟

قالت الأستاذة: أنت العريس إللي متقدم لها؟

قال: نعم حضرتك.

قالت: وحضرتك متعلم؟

قال: نعم وحاصل على دبلوم فني صناعي.

قالت: وعندك كم سنة؟

قال: عندي ٢٨ سنة.

قالت: وهان عليك تتجوز طفلة وتحملها مسئولية هي لا تقدر على تحملها.

الأب: صغيرة إزاي يا أستاذة، ألا تنظرين إلى الواقع، الكل يسير هكذا.

قالت: وأنت قلت أسير كالباقين ولا أخالف سواء أصابوا أم أخطأوا، وقلت أنت أسير كما يسير الباقي من الناس، إذن الناس الذين تقلدهم البعض منهم يجعلون الأمر مشورة وفي حالة رفض

الفتاة لمبدأ الزواج الصغير ُيرفض العريس، بالرغم أنه غلط إجبار الفتاة على الزواج ما دامت تحرص على طلب العلم، أيضا الإجبار على الزواج لا يكون مطلقًا هكذا، أنت بقى بإي وجه كأب تلقي بابنتك وهي بالسن ده غصب عنها؟

قال الأب: أنا أعرف مصلحتها أكثر منك أنا أبوها،( البنت لازم تتستر بدري، وما لهاش غير بيت جوزها).

قالت الأستاذة:

- تتستر إزاي وهي في بيتك ليست مستوره، معاذ الله، أم أنك تجدها وصمة عار وهي تعيش معك؟!

الأب: لا أقصد ما فهمتيه يا أستاذة، أنا قصدت خوفي عليها.

قالت:ولما أنت خايف عليها لما تلقي بها هكذا في زواج بالغصب؟ وبعدين بنتك متفوقة حرام عليك تدخلها دنيا هي لسة صغيرة عليها.

قال الأب: بس السيدة عائشة اتجوزت صغيرة وهذا ليس حرام.

ردت الأستاذة متعجبة: والله!! وحضرتك تعرف أيضا إن السيدة عائشة كانت مخطوبة من قبل من شخص آخر قبل سيدنا النبي صلى الله عليه وسلّم، غير كدة السيدة عائشه يعني في سنها كانت تحفظ وتروي الشعر والسير، وكانت مثل بنات عصرها قادرة على تحمل مسؤوليات الأسرة، كما جرت العادة في زمنهم ومجتمعهم والإسلام لم يأتِ ليخالف كل ما كان عليه الناس فالحسن أقره الإسلام، والسيء خالفه وحرمه، أما الآن تغير الأمر والبنات أصبحت غير ناضجات لنلقي بهن في ركاب الزواج حتى لايبوء بالفشل، ونرجع باللوم على الشرع الشريف هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، الفرق الذي بينه وبينها حوالي ثلاثة عشر عاما قلي بالله عليك كيف تتوافق العقليات مع هذه المساحة الشاسعة وفي ظل هذه الأيام ومع حرمانها من طفولتها هل يتحمل الزوج إذا صدرت منها أفعال طفولية وأفعال طائشة لا تليق بزوجة، وهي لا ذنب لها فنحن السبب في ذلك إذا تم هذا الأمر فلا نلقي اللوم عليها، والكل منصت يسمع الحديث ولا أحد يقدر على المعارضة، ثم استرسلت الأستاذة في الحديث وقالت:

بعدما غيرت طريقتها في الحديث وهدأت قليلا، فهي لم تكن تري بد من المواجهة، لتُنقذ الفتاة من نتيجة فهم خاطئ، وعادات تحتاج للتقويم قليلا.. قالت:

سامحوني علي انفعالي، ولكن الأمر خطير جداً، وليس علي مستوي الفرد، أو القرية بمفردها، وإنما هو داء زاد في الإنتشار، وعلينا يجب المواجهة.

نحن نريد القضاء علي التفرق الأُسري، وتلك آفة أصبحت تنخر فيه كالسوس، والزواج في الإسلام ليس له سن محدد، ولكن هو منوط بمقدرة المرأة عقليا وجسديا لإنشاء أسرة، تحوطها بوافر من العناية والحب.

تعالوا معي محكمة من محاكم الأسرة وسترون عدد من قضايا الطلاق لامثيل لها ولا حصر لها، نحن نحاول تخفيف العبء وتوعية الناس وبالمناسبة كانت الإدارة التعليمية أرسلت إلينا لعمل ندوة وطلبوا منا استدعاء أولياء الأمور للتنبيه بخطورة هذا الأمر، وإصدار توعية عامة حول( خطورة الزواج المبكر) والرفق بهم،

فقال المصطفى في بعض أحاديثه- صلى الله عليه وسلم- " رفقا بالقوارير" وكانت أكثر وصاياه عن النساء فلا نحاول أن نكرهها ونلتزم بوصية المصطفى صلى الله عليه وسلم، حتى نقدم أفضل صورة عن الإسلام أمام الناس، ونرد على كل من قال بأن الإسلام أهان المرأة وظلمها، نريد التطبيق الصحيح لمفاهيم الإسلام.

الأب: أشكرك جدا يا أستاذة على ما قدمتيه لنا من نصائح لقد جئتي في الوقت المناسب لقد كان ضميري يؤنبني تجاه هذا الأمر وكان قلبي منشغل بابنتي ولكن خوفي عليها هو من ساقني لفعل هذا.

العريس: وأنا أيضا أشكرك يا أستاذة لقد لحقتي في الوقت المناسب حتى لا نقع نحن والأسرة في إتمام المراسيم ونصاب بنفس الداء الذي دمر أُسر قبلنا.

الأستاذة: لا داعي للشكر المهم أننا نحاول أن نعالج الأمور ونضعها في نصابها الصحيح ولا أتمنى أن يكون دخولي وحديثي يسببان إنزعاج بينكم.

العريس: على العكس ما فعلتيه هوالصواب، عمي إبراهيم هيفضل كبير في نظري والزواج قسمة ونصيب على كل حال.

الأب: زي ما قلت يا هيثم يا ابني الزواج قسمة ونصيب ما فيش أي حزن إن شاء الله، وربنا يرزقك بالزوجة الصالحة، وذهب الشاب هيثم وأهله ثم التفتت الأستاذة إلى هند وإذا بهند تجري وترتمي في حضن معلمتها التي انقذتها من ضائقة كانت أوشكت على الوقوع فيها، كما أوصتها بالاهتمام بالمذاكرة والاجتهاد في التعليم واستأذنت من الأب والأم وذهبت.

وبعدها ينادي الأب على ابنته وأخذها في حضنه وهو يبكي ويقول لها:

- سامحيني يا بنتي ما أردت إلا الحفاظ على مصلحتك ولكن الحمد لله الذي جاء لنا بمن يدلنا على الصواب، إن شاء الله لن يتكرر ما حدث وتأكدي أننا خلفك وسأساعدك على إتمام المرحلة التعليمية كما تشائين.

وذهبت هند إلى غرفتها ولكن البسمة تملئ شفتيها، شاكرة إلى

ربها على أن أنقذها من هذه الضائقة. ديننا سهل وبسيط، وجمال تشريعاته شهد لها المخالف قبل الموافق، ولكننا ظلمنا ديننا بتطبيقنا الخاطئ له، وحصره في نطاق ضيق، فمن رُزق الإسلام فقد رُزق السلام فلينظر إلي ما منحه الخالق وفضله عن غيره، وليسير علي نهجه.

وبعدما انتهت دكتورة هند من حديثها وكانت تسترجع ذكريات ما مضي، تراجع تلك الأفكار والأيام البريئة التي كانت تعيش فيها، قبل أن تدخل دوامة الحياة.

فقالت لها طالبة: تجربة جميلة وصعبه في نفس الوقت يا دكتورة، ولكن ما سمعته عن تلك الظاهرة أصحابها يبررون لها ويقولون: نحن نزوج الفتاة صغيرة في الحلال قبل أن تشب وتسحبها مغريات الحياة وتقع في الحرام، وتجلب العار علي أهلها.

شوفي يا ندي كلامك يحتاج لتدقيق، فإن وقت ظهور تلك الظاهرة كان هناك فريقان متنافران أشد التنافر، الفريق الأول: ينتظر تخرج الفتاة من الجامعة وتترك علي هواها حتي تقع في علاقة

حب غير مسموح به شرعا ولا عرفا،وقد يسحبها هذا إلي طريق الرزيلة من حيث لا تدري، وبعدها تتزوج.

أما الفريق الآخر: فإنه يري تزويج الفتاة في سن صغير حتي لا تقع في المحظور. ومن رأيي كلا طرفي الأمور ذميم، لإن من تُرك لهواه تخطفته دروب اللهو والغي، ولا يشعر إلا بعد الوقوع في الطامة الكبري. وأيضا من أُقحم في شئ قبل بلوغ أشدة يكون عقابه الخسران غالبا، ورباط الزوجية رباط مقدس، لا بد من النظر إليه بحيطة وبعد نظر؛ فإن الأسرة هي لبنة بناء أساس المجتمعات، وإذا كانت لبنة الأساس قد أصابها الخور والتسوس، فكيف تقام تلك المجتمعات، وكيف تنهض وهي منهارة الأساس.

قالت طالبة أخري وكان الكلام قد تحول لنقاش عام: ولكن يا دكتورة هذه طامة زواج الصغيرات، فما بال كثير من قضايا الطلاق تذداد يوما بعد يوم؟

قالت لها الدكتورة: ذلك يرجع لغياب عنصر: الثقافة الزوجية بين الشريكين، فالزواج ليس قضاء شهوة، وأمر من الزوج لزوجته

فقط، وذلك يرجع للمفهوم الخاطئ لمفهوم القوامة، ويظنها الكثير تحكم وتجبر من الزوج فقط، ولكنها في الأساس لمن قرأ القرآن، وراجع سيرة المصطفي صلي الله عليه وسلم، وجد معني القوامة، وأنها قوامة رعاية وشمول، وتحمل أعباء الزوجية، وتكليف بالواجبات تجاه الأسرة.

فالقوامة تكليف قبل أن تكون تشريف، لذلك من أفضل ما قرأت عن وصية الأم لابنتها قبل الزواج، وصية الأعرابية لابنتها وهي:

«أمامة بنت الحارث الشيباني توصي ابنتها ليلة زفافها:

أي بنية: إن الوصية لو تركت لفضل أدب لتركت ذلك لكِ ، و لكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل.. ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها كنتِ أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال.

أي بنية : إنك فارقت الجو الذي منه خرجتِ ، وخلفتِ العش الذي فيه درجتِ إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه

عليكِ رقيبا ومليكا ، فكوني له أمة يكن لكِ عبداً وشيكا.. واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً..

أما الأولى والثانية:

فالخشوع له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة:

فالتفقد لموضع عينه وأذنه..

فلا تقع عينه منكِ على قبيح ولا يشم منكِ إلا أطيب ريح..

وأما الخامسة والسادسة:

فالتفقد لوقت منامه وطعامه.

فإن تواتر الجوع ملهبة ، وتنغيص النائم مغضبة..

وأما السابعة والثامنة:

فالاحتراس بماله والإرعاء على حشمه وعياله..

وملاك الأمر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير..

وأما التاسعة والعاشرة:

فلا تعصين له أمراً ولا تفشين له سراً..

فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره وإن أفشيت سره لم تأمني غدره..

ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهتما والكآبة بين يديه إن كان فرحاً»

فافتقادنا لتلك المعاني جعلنا نعيش في عالم متقطع الأوصال وكثرة الفراق التي نعاني منها لا تبشر بالخير أبداً.

قالت طالبه اخري: وماذا فعلت بعد ذلك يا دكتورة؟

قالت لهم انهيت دراسة الثانوية بعد تعب وضغط للوصول لهدفي، ويوم أن دخلت كلية الهندسة كانت فرحة أبي وأمي لا سعة لها، ومن يوم تلك الحادثة لم يحدثوني بشأن الزواج إطلاقا حتي أتم دراستي، ولكن الأمور لا تسير وفق ما نخطط له، ففي العام الثاني كان يدرس لنا دكتور وكان كبير في السن، ويوم تغيب وجاء معيد

يسمي عمر مكانه.

ولما دخل المعيد القاعة وكان جديدا في الجامعة، وكان يبدوا عليه الخجل وآثار الوقار، فقد كان يتحرج من التحدث مع الفتيات، وأثناء المحاضرة التقت أعيننا علي حين غرة، ولكنه صرف بصره مباشرة عني؛ حتي لا يصاب بالريبة من أمره، وبعد ذلك كنت إذا نظرت إليه وهو يشرح رأيته قد رفع بصره للتو عني، فرابني ذلك الأمر، ولم أنشغل بتلك الأمور، فقد كنت أهتم بدراستي في المقام الأول.

وبعد أيام أخبرتني أمي عن تقدم معيد بالجامعة لخطبتي، وتركوا الأمر لي، ولكني كنت متحيرة تلك المرة دون غيرها، فمنذ أول محاضرة وصورته عالقة بذهني، وخجله الواضح علي وجهه، ثم فكرت قليلا تُري هل سأظل هكذا بدون زواج؟

فلما تحيرت كثيراً اتجهت وصليت صلاة استخارة لله عزوجل، وفي اليوم الثاني مباشرة شعرت بارتياح يجيش بصدري عندما حدثتني امي لتأخذ ردي، فوجدتني اضحك بحياء، ففهمت ما

يجيش بصدري وقالت علي بركة الله.

وبعد أيام أُعلنت خطوبتنا رسميا، وكان عمر من أفضل الشباب الذين رأيتهم في حياتي، فالشاب الذي يعف نفسه ويحفظ بصره في أواسط غمار الشهوات فهو كالعملة النادرة في هذا الزمان.

وكانت خطوبتنا مباركة التزمنا فيها بكل المقاييس الشرعية، وعقدنا وبعد شهور انتقلت معه إلي بيت الزوجية، بعد أن تعلمت معني الزواج، وكيف تقام تلك البيوت علي شرع الله، وكيفية معالجة ما يعتريها من معوقات.

وأكملنا مسيرة التعليم معا، وكنا سندا لبعضنا البعض، ورزقني الله منه بثلاثة أولاد، كريم، وناهد، وسيف.

وبعد ان انتهت من كلامها وقف الجميع يصفقون لها يحيونها علي رحلتها التي قصتها عليهم، وفي تلك الأثناء دخل زوجها الدكتور عمر وكانت المحاضرة قد انتهت، وكان يريد ان يصطحبها للرجوع للمنزل بعد انتهاء اليوم الدراسي، فألقي السلام وجلس علي كرسي في ركن ما ينتظر إفراغها من حديثها ويستمع لها بإنصات، فانتهت

سريعا واصطحبته راجعين إلي منزلهم.

انتهت

***

## ( تعليق صغير )

هذه مشكلة وصورة واقعية تُضرب كمثل صغير لبعض مما يحدث وما قدعمت به البلوى وبالرغم من التشريعات

القانونية والتشريعات الإسلامية إلا أن هناك فئة كبيرة تخالف في مثل هذه الأمور بشدة وتتحايل على القانون والشرع بشتى السبل للحصول على ماتريد، فالمسألة مسألة وعي و ثقافة مجتمع فلا بد من الرجوع إلى ثقافتنا الإسلامية ونشر الوعي بين الناس، ويكون ذلك دور المسجد و المؤسسة التعليمية وتسليط الضوء من الهيئات الإعلامية على مثل هذه الأمور التي قد يتهاون فيها البعض، ولكن عاقبتها تكون وخيمة، وأضاعت مستقبل كثيرمن الفتيات، فوالله لقد رأيت بعيني فتاة في السادسة عشر من عمرها مطلقة، بإي وجه وبإي حق تتزوج وتُطلق في مثل هذا السن، أليس هذا ظلما لها،

وضياع لحقوقها، فلنكن على وعي تام ونلتزم وصية نبينا صلوات الله وسلامه عليه ونقول: «رفقا بالقوارير»

# «عققته قبل أن يعقك»

إن الحياة التي نحياها ليست بالمعني الذي نريده، ولا كما تمنيناها، لإن حقيقة الأمر أننا نعيش في دار الدنيا، ولسنا في جنة الفردوس، ننال ما نتمني بدون كد ولا تعب، ولكن هناك كثيراً من الأمور إذا طرأت علي الحياة تجعل الإنسان منغص العيش، غير هانئ البال، وعلي تلك الحال يدوم محور الحياة.

في صباح يوم جديد أشرقت الشمس، وأرسلت بصيص من أشعتها الذهبية في كل مكان، متخفية قليلا خلف غيوم السحاب، في شهور الشتاء يركن الجميع إلي مضاجعهم، طلبا للدفئ، وفي ذلك اليوم كانت الأسرة تتجمع أمام التلفيزيون، ولكن خالد لم يكن موجودا، ولما سألت عنه أمه زوجته، فين خالد يا ندي؟

خرج منذ صباح اليوم، انهي عمله، وأخبرني أنه سيتأخر قليلا.

وفي ذات الوقت كانت ريهام زوجة علي الأخ الثاني لخالد، كانت تتوقد نارا كلما سمعت كلمات الثناء من فم أحد الوالدين علي خالد دون زوجها، وكان المنزل يفترق علي وجهتين، الوجهة الأولي كانت تضم عمر واخته ثريا، والجهة الثانية، تضم خالد وأبيه وأمه، وكل منهما في اتجاه معاكس للآخر، اختلاف في شتي الأمور، مما يُسبب انشقاقا فيما بعد.

خرجت ريهام تبحث عن زوجها، فوجدته كما عهدته في غرفته يشاهد التليفزيون منفردا، يقتل الوقت كما يقول لها دائماً، يحاول أن يلملم شعثه أمامها، ولا يريد أن يُظهر الذل والإنكسار أمامها، فهي التي عانت معه صعوبات الحياة، وشدائدها، وكانت تتحمل من أجله.

خالد؟

نعم يا ريهام اتفضلي يا حبيبتي، كنتي عاوزه حاجه؟

كنت عاوزه اتكلم معاك شوية.

اتفضلي يا ريهام، خير في إي؟

أنا شايفاك دلوقتي حالتك النفسية ليست علي ما يرام، فهلا خرجنا معا نتمشي قليلا، نسترجع زكريات الماضي، ذكريات ما قبل الزواج.

معذرة يا ريهام اليوم ليس لي طاقة للخروج، وعندي عمل مبكراً، ولكن أعدك قريبا سنخرج معا، وأقبل نحوها، وقبل جبينها وقال لها:

أقدر ما تشعرين به، ولكن كل شئ قد رأيتيه بعينيك، ولم يُسرد لك الكلام من شخص آخر، ولكن مدة يسيرة وتنتظم الحياة، ونحقق ما تمنيناه معا.

لا عليك يا علي، أتركك الآن لإطمئن علي يوسف، فقد كان يبكي طوال الليل كأنه يشعر بما نمر به.

لا داعي لتكرار مثل هذا الكلام، ولا أريد منك أن تتفوهي بكلمة أمامه، لا أريده أن يشعر بمرارة تلك الأيام التي عانيناها، حتي لا ينشأ بداخله حقد تجاه الآخرين.

ومن يدري يا علي فقد ينشأ ويكبر ويري بإم عينيه ما نريد

إخفاءه عنه، ماذا ستفعل حينها، هل ستكذب عينيه، أم ستبرر له كل ما يحدث؟

لا أعلم فقد تتغير الأمور، ولكن دعيني أنام الآن فعندي عمل يشغلني.

ذهب علي في نوم عميق، ولم يستيقظ إلا علي ارتفاع الصوت، وكان هناك شجار حاد بين زوجته وبين زوجة أخيه، وانتهى الأمر بتدخل الوالد، وكان حكمه النهائي قد صدر، وأمر بطرد علي وزوجته من المنزل جراء ما فعلت زوجته، وفي الحقيقة لما سمع علي سبب المشكة لم يستغرب كثيراً من ردة الفعل، فالمشكلة كانت بسبب شجار بين النساء جراء أعمال المنزل، كعادة أي منزل لا يخلو من شجار، ولكن ردة فعل الوالد كانت عنيفة وجائرة، وخاصة أن الحكم صدر في حق أحدهم دون الآخر، وهذا هو موطن الداء «فالتفرقة بين الأبناء في الحقوق والواجبات، تورث ضغينة لا تقل عن مثيلها بين الغرباء، وتظل تحدث فارقا بينهم في العلاقة ما دامت هذه الأفعال تخرج من أحد الوالدين»

خرج علي وزوجته واستقل منزل واستأجره من صاحبه، وظل يعمل، وكانت الصلة قد انقطعت بينه وبين أبيه، ولم يكن أخيه خالد أقل حظا مما فعله أبيه، ولم يغضب لفعله، فقد كان الصغير المدلل علي حساب غيره، أما علي فقد كان من يربيه جده وجدته، ولكن بعد وفاتهم، لا يجد رحمة من الوالد، ولا شفقة من الأم، بالرغم من صفاء قلبه، إلا أنه ما زال يعاني من ذلك.«فأصحاب القلوب النقية دائماً في شقاء في تعاملاتهم مع بني البشر، لذلك تراهم دائما في تعاملهم لا تفتر شفاههم إلا عن ابتسامة تغمر وجوههم وتشعر من يراهم بإنهم علي ما يرام، حتي ولو كان القلب يقطر ألما، فطوبي لهم في عالم المكدرات».

مر يوم واثنان واسبوع، وشهر وانقطعت الصلات بين الولد وأبيه، وكانت والدته بين الحين والآخر تتواصل مع زوجته في السر؛ لكي تطمئن عليهم، ولم يكن يعرف زوح أي منهما بالأمر، فأمه مهما كانت قاسية، وبرغم ما تسببت فيه من تلك الأمور، إلا أنها لا تخرج عن كونها أما، تشعر بوخزة في صدرها حينما يبتعد

عنها ولدها.

ولما مرت الأيام حاول الأهل التدخل في الأمر لحل تلك المعضلة بين الأبن وأبيه، إلا أن المحاولة باءت بالفشل من قبل الطرفين، فالوالد مقتنع تماما بإن ابنه مخطئ ويحتاج للتربية، وتلي يعتقد أنه قد طفح به الكيل، ولا يستطيع الصبر أكثر من ذلك، وإن كان علي محقا إلا أنه في النهاية والده.

وذات يوم ذهب علي مع صديق له في العمل لإحد العلماء المختصين بالعلم الشرعي، وكانت عنده مشكلة في منزله ويريد فتوي لحل ذلك الأمر، ولم يكن يعلم عمر بحقيقة الأمر.

وفي أثناء الكلام بين صديقه سعيد مع هذا العالم، تدرج عمر في الكلام، وسأل الشيخ عن حالته مع والده ومدي ما تعرض له من ظلم منذ الصغر، حاول الشيخ تهدئته حينما ذرفت عيناه مما كان يحكيه، فقد قاسي مرار الأيام معه.

يا ولدي كل ما قلته لا يبرر لك العقوق.

لو كنت مصيبا وتلي صواب تماما، ووالديك أو أحدهما في قمة

الخطأ، فمن العقوق أن تحاول أن تثبت لهم أنهم على خطأ، ولكن يا سيدنا أنا قاسيت كثيرًا فمن الصغر وأنا أجد نفسي غريبا عن المنزل، منذ الصغر أجد تفرقة بيني وبين أخي في كل التعاملات، فهو دائما مميز عني بين أبوي.

ما سبب هذه الفرقة التي نشبت بينكم؟

والله لا أعلم لها سببا، ولكن بحكم تربيتي في بيت جدي وجدتي، لم أكن أذهب إلي منزلي إلا قليلا، والآن أشعر بغرابة تامة، وحتي بعد زواجي، ولكن إذا كنت أنا قد ظُلمت من قبل والدي فما هو ذنب زوجتي، أنا أتحمل أفعالهم برا بهم، ولكن لماذا يفرقون بين زوجتي وزوجة أخي، ولماذا يعاملون أولاد أخي أفضل من أبناءي مع أن الأولاد لا ذنب لهم في شئ.

الكبد ينفطر حينما يأتي أحد أولادي ويشتكي بفطرته من أفعال جده، ولا أجد ما أرد به عليه، هل لهذا من حل يا سيدنا، فأنا قد ضاق صدري؟

الحل هو أن تقوم وتذهب إلي منزل والدك، وتحاول أن تكسب

ود أبيك، وإذا كان والدك قد ظلمك وفرق بينك وبين أخيك حتي نشبت بينكم نار الكراهية، فأمره إلي ربه وهو يجازيه، أما أنت فلا أجد لك علاجا أجدي من البر والتلطف بهم، حتي لا تفقد دنياك وأخراك.

ولكن هذا يصعب علي فعله جراء ما عانيته؟

تذكر جزاء ما تفعله عند الله، فتحاول ألا تغضب والديك منك، وتجاهد جراء ذلك، ومعينك الله:

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا . وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩).

يا بني إن لك حقوقا إذا أخذتها، ففي مقابلها تكاليف ولا بد من الإلتزام بها، وتكاليف الوالدين قد تكون شاقة في بعض الأمور، ولكن الجزاء كبير.

اسمع إلي كلام أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه؛ لتدرك معني ما أقوله لك:

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه عقوق ابنه ، فأحضر عمر الولد و ابيه و أنّبه على عقوقه لأبيه ، ونسيانه لحقوقه، فقال الولد : يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه؟!

قال : بلى

قال : فما هي يا أمير المؤمنين ؟

قال عمر : أن ينتقي أمه ، ويحسن أسمه ،

ويعلمه الكتاب ( أي القرآن ) ،

قال الولد : يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي ، وقد سماني جُعلاً ( أي خنفساء )، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً .

فالتفت عمر إلى الرجل و قال له : جئت إلي تشكو عقوق ابنك، وقد عققته قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك..

هذه هي معايير الحقوق، ولا أظنك قد نقصت عنها؟

أما الأولي:

فهو قد انتقي، لي أما صالحة، وإن كانت سببا في كثير مما يحدث بسبب ميولها وحنانها لإخي الأصغر أكثر مني.

وأما الثانية والثالثة:

فقد كُفيت فيهم، وأخذت كافة حقوقي.

ولكن يا سيدي لماذا يضيق صدري تجاه ما يحدث من والدي وأخي، وأجد في صدري شيئا تجاههم، يختلف تماما عن أي شحناء حدثت مع أي شخص آخر؟

هذا لإن حدوث ما لا نحب لا يُنتظر وقوعه من القريب بدرجة فوق التصور، لذلك يأمن الشخص من هذا الجانب، فإذا تفاجأ وحدث أن خُذل من مأمنه فإن جرحه يذداد ألما، ويتجرع مرارة الألم مضاعفا، لذلك كان النبي صلي الله عليه وسلم يحاول أن يرسي قواعد الحب والآخاء وخاصة بين الأقارب، وهذا لعظم صلة الرحم، وخطورتها على الإنقطاع والتفرق، وأيضا فإن الشخص كلما كان قريبا لشخص فإنه يسهل عليه ضره بصورة أكبر في وقت العداء، وانظر لكلام النبي صلي الله عليه وسلم، وستدرك مغزي

ما أقول:

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه، أن رجلاً سأل رسول الله  صلى الله عليه وسلم  عن الصدقات أيُّها أفضل؟ قال: (على ذي الرحم الكاشِح) والكاشح هذا هو الذي يضمر العداوة لغيره، وصدقتك عليه بعفوك وتوددك بالمال تُذيب ما يعتمل بصدره من مشاعر الغضب والحقد والعداوة.

أعلم أن تطبيقه صعب، ولكن كما يُقال«بقدر ما تتعني، تنال ما تتمني»

حسنا يا سيدي، سأحاول تطبيق ما قلته وأبدأ من اليوم.

وانطلق علي راجعا إلي منزل والده، واصطحب معه أحد أعمامه لكي لا يطرده والده ثانيا، ظن أنه لا يفعل ذلك بصحبة عمه.

وبعد طرق الباب فتحت الأم وحينما وجدتهم في وجهها رحبت بهم ودعتهم للدخول، دخلوا إلي صالة الجلوس وكان والده يرتاح قليلا في نومه، فقالت لهم: سأذهب لإبلاغ جمال بوجودكم هنا.

لم يمكثا قليلا حتي جاء والده الحاج جمال وقد ظهرت أمارات الغضب علي وجهه، وقبل أن ينبس علي ببنت شفه قال له والده: ما الذي أتي بك هنا، ألم أقل لك ألا تدخل منزلي ما دمت حيا؟

وقبل أن يُجيب علي انطلق والده نحوه وصفعه علي وجهه، وصرخ في وجهه يطلب منه مغادرة المنزل علي الفور.

تذكر علي كلمات الشيخ بوجوب البر والطاعة فخرج من المنزل علي الفور، وكان عمه يقف مشدوها مما يحدث، حيث كان يعرف بما حدث، وأن الأمر لا يحتاج لكل هذا، ولكن خرج علي إثر ابن أخيه غاضبا أيضا.

كان كلما مرت الأيام يقطر قلبه ألما علي الفراق، وكلما خلا بنفسه تتساقط الدموع من عينيه.

وذات يوم كان علي قد عاد من عمله، ويستريح في وقت الظهيرة، وعلي حين غرة سمع طرق الباب سريعا مدويا، فقامت زوجته لتري من الذي أتي في تلك الساعة، فوجدت أم علي قد وقفت بالباب لاهثة تعلو أصوات أنفاسها وتهبط، فأخذتها من

يدها وأدخلتها إلي الداخل، وهدأت من روعها، وسألتها ما بك يا أمي هل حدث لك شئ؟

أنا بخير يا ريهام، ولكن أين علي؟ والده قد تعب تعبا شديدا منذ قليل، وقامو بنقله إلي المستشفي.

هو نائم بالداخل سأدخل لإوقظه وأخبره.

دخلت ريهام علي علي وقالت له: إن أمك بالخارج تريد رؤيتك.

خرج علي إليها، وعند رؤيته قالت له: لماذا أتيت اليوم، ولماذا لم تخبرني قبلها، كل يوم تتسبب لنا في مشكله؟

كان علي قد خرج عن طاقته، وأراد أن ينفث ما بداخله، فانفجر بصوته عاليا يشوبه البكاء: أي مشكلة قد تسببت بها وقد أتيت لإصلح ما فعلتموه من ظلم لي ولزوجتي.

أي مشكلة قد تسببت بها، وأنتم تعاملوني معاملة الغرباء دائماً.

أي مشكلة تسببت بها، وأنا كل يوم أتحطم نفسيا حينما أتذكر كل كلمة قيلت لي، وكل ضربة وقعت منكم على جسدي بدون ذنب.

أي مشكلة تسببت بها، وأنا لا أجد عاطفة الوالدين من ناحيتكم، فظللت أبحث فيها عند الآخرين، بعد موت جدي وجدتي.

أي مشكلة تسببت بها، وأنا الذي تغربت وسافرت في كل مكان لكسب لقمة العيش، وأخي الأصغر ينعم بين يديكم، ولم تكلفوه بعضا مما كُلفت به، ولم أنل رضاكم.

بالله عليكي يا أمي ماذا فعلت لكم لكي تُحطموا حياتي بهذه الصورة، ثم ما هو ذنب زوجتي التي كنتي تظلمينها أيضا، وتفرقين بينها وبين زوجة أخي، وكان هذا علي مرأي ومسمع مني، وكانت لا تتكلم من أجلي؟

ماذا أقول لإبناءي وأبرر لهم ما تفعلونه معهم من غلظة وتفريق في المعاملة أيضا بينهم وبين أولاد عمهم، لقد زرعتم نار العداوة بين الأخوة من اللاشئ، وأنتم من ستسألون أمام الله عن كل هذا.

كانت أمه تبكي هي الأخري من كلماته، لقد تحمل الكثير ولم يشعر به أحد، فطالما أنه لا يشكو منهم فهذا يعني أنه بخير، ويعيش في هناء وسرور، ولا أحد يعلم بما يمر به سوي زوجته التي تشاركه

همومه؛ حتي لا تثقل كواهله منفردا بها.

قالت أمه بصوت يملؤه الحزن والكدر: والدك في المستشفي الآن، قد تعب تعبا شديدا بعد ما حدث، وهو الآن يريد رؤيتك؟

لم تكمل كلمتها حتي خرج مسرعا وهي في يده، إلي مكان والده، وبعد وصوله إلي المستشفي، وجد والده في غرفة العناية المركزه، ووجد أخيه خالد يقف أمام الغرفة وحوله بعض الأقارب، ولم تمض دقائق وخرج الدكتور من غرفته، فأسرعوا الخطي جميعهم نحوه، ولما سألوه عن حالته قال لهم: حالته غير مستقرة، ولهذا سوف يمكث معنا إلي أن يرتاح قليلا.

وقفوا جميعا أمام الغرفة حتي جاء المساء، وطلبت منهم إدارة المستشفي أن يغادروا ويسمحوا لشخص واحد فقط أن يجلس بجواره.

في البداية لم يتكلم الأَخوان إطلاقا، لذلك تكلم علي وقال حازما: سأبيت أنا تحت قدم أمي هذه الليلة.

حاولوا أن يرجعوه عن هذا القرار؛ لمعرفتهم بما دار في الليلة

السابقة، وخشية أن يتكرر الأمر، وتسوء حالة الوالد صحيا.

ولكني صممت وعزمت علي الجلوس بجانب والدي، كنت أشعر بإن ما حدث كان بسببي، رغم أني لم أفعل شيئا، ورحل الجميع وتركوني منفردا.

في ساعات الليل الأولي كنت أغفو قليلا واستيقظ؛ علي أجد من يطمئنني، وبالفعل لم تمر أكثر من ساعة ووجدت أحد الممرضين متوجها إلي بالكلام، حضرتك أستاذ علي؟

نعم أنا علي، والدك خرج في الغرفه رقم «٣٠٥» وبعد قليل تستطيع أن تدخل إليه إن كنت تريد، حتي لا يجلس منفردا، أو قد يحتاج منك فعل شئ.

قلت لها: نعم سأدخل له الآن، وكنت أتلعثم في داخلي، هل سيحدث مثل آخر لقاء بيننا، أم سيجد في الأمر أمور، لا أدري سأدخل ويحدث ما يحدث.

بعدما فتح الباب وجد وجه أبيه ينظر إليه مباشرة، فوجده يبتسم ابتسامة مشوبة بالبكاء، وأشار إليه أن تعال يا علي.

فهرعت إليه مسرعا، وأول ما فعلته أمسكت بيديه وقبلتهما، وقلت سامحني يا أبي، لا أعرف أن مجيئي إليك سيحدث كل هذا.

قال لي يا بني أنا من أطلب منك أن تُسامحني، فقد طغيت عليك إلي أبعد الحدود، وكانت بصيرتي لا تُحسن رؤيتك.

وبعدما حدث ما حدث وذهبت أنت وعمك، هدأت من روعي ودخلت غرفتي لإكمل نومي، وجاء طيف أبي في المنام، ولكنه كان غاضبا مني إلي أبعد حد، وكان معرضا عن حديثي، فلما أقبلت نحوه لإسلم عليه، وأقبل يديه، رفع يديه باتجاهي وأشار إلي أن قف مكانك، ورأيتك آتيا من بعيد، فرحب بك وقبلك، وأخذ ينحب ويبكي، وقال لي: أما آن لك أن ترحم هذا المسكين، لا تظلمه أكثر من هذا، كما لم أظلمك، ولا تُشعل نار العداوة بينه وبين أخيه، فتكون عاقبتك الخسران، ألم أعلمك دائماً «بإن من خذلته أسرته، فلن تأتي من الأباعد نصرته» كيف تجعل ابنك مطرودا عن أسرته، وتقصيه دائماً عن جانبك.

اعلم أنك ما دمت تفعل ذلك، فأنا لست راضيا عنك يا بني.

ولما حاولت أن ألحق به ردني وقال لي: لا تلحق بي حتي تُصلح ما أفسدت، وذهب من أمامي.

فقمت من نومي فزعا وأنا أبكي، صحيح أنه حلم، ولكنه لامس جرح قلبي، وأحسست بما فعلته دون أن أنتبه، فظللت أبكي ولم أشعر بنفسي إلا وأنا في المستشفي هنا، فلما استيقظت طلبت رؤيتك في الحال.

حمدا لله علي سلامتك، وبعدها كل أمر يهون.

أنت من اليوم لا تفارقني، وعندما يشرق صباح الغد ويأتي خالد أخوك لا بد وأن تصفي نفوسكما وتتصالحا، فلين يهدأ بالي ما دمتم متفرقين.

وفي الصباح جاءت الأسرة جميعا، وذهب علي واصطحب زوجته كما طلب منه والده ليعتذر لها عما بدر منه في حقها، ويطلب منها أن تسامحه، وتجمعت الأسرة جميعا في انتظار علي وزوجته.

حينما دخل علي والقي السلام، أشار الحاج جمال لوالده خالد أن إذهب إلي أخيك وعانقه، فلا فائدة في تفرقتنا يا بني، وكان هو

من طلب من خالد أن يقطع علاقته بعلي بعد حدوث المشاجرات.

تصافح وتعانق الأَخوان، وطلب منهم الأب ألا يتفرقا مهما حدث، وطلب من علي وزوجته أن يسامحوه علي ما بدر منه من ظلم لهم.

قالت ريهام: لم يحدث شئ يا عمي، فأنت في مقام والدي رحمه الله.

إذا فمن الغد ستنتقلون إلي المنزل للإقامة معنا.

لا مشكلة يا أبي كما تريد أنت، سيحدث.

في اليوم التالي انتقل ابني علي إلي منزلي، وتجمع شملنا من جديد، وحاولت أن أُصلح ما أفسدته قديما.

وبعد فترة ليست بقصيرة جاءني والدي في المنام مرة أخري، ولكن في هذه المرة كان منشرح الفؤاد، متهلل الأسارير، يبدو عليه أمارات الرضا عني، فأقبلت نحوه، وقبلت يديه، فأخذني من يديه وأجلسني بجواره في مكان ما، وظل يطمئن علي أسرتي، وكان

مسرورا بفعلي امتثالي لكلمته، فأخذ يلقي علي بنصائحه وكان من بينها: يا بني جاهد ما استطعت لتأليف القلوب، فإن القلوب التي تتسبب في إسعادها بالمودة والرحمة تُكن لك مخزونا من الحب والوفاء، فمن زرع الورد لا يجني شوكا.

يا بني ليس عيبا أن يخطأ المرء، لإننا بشر، ولكن العيب هو التمادي في الباطل والخطأ، والدفاع عنه مع وضوحه للعيان.

يا بني إنما الدنيا أيام، فإذا ذهب يومك فقد ذهب بعضك، فاحرص علي فوات يومك دون أن يفوت عملك، وقربك من الله.

يا بني كل عمل يقربك من الله هو نعمة تستوجب الشكر عليها، فالتوفيق للطاعة منحة، ودوام النعم مقيد بالشكر فلا تغفل.

يا بني دائماً نحتاج للتغاضي عن قناعات نؤمن بها في سبيل الحفاظ علي قلوب، لا نود أن تفرقنا جدالات عما نؤمن به.

يا بني لا تعامل كل إنسان بنقيصة خلق وجدتها فيه، فإذا جاريته في فعله، اجتمعت فيك جملة من شرور الخلق، ولكن التزم قوله تعالي: ادفع بالتي هي أحسن السيئة.

يا بني إذا وقعت عينك علي عيب فاستره، ولا تعب على مبتلي، فإنه قد قيل:

من يعب يوما بشيء**لم يمت حتي يراه.

ولا يستر العيب إلا كريم حيي، ولا يكشفه إلا دنئ رزي.

يا بني إياك والكبر، فإنه يُنبئ عن النقص الذي تُعانيه، فإنه لا يتكبر إلا من كان يشعر بنقصه، ولا يتواضع إلا من كان واثقا بنفسه.

كنت أُنصت إليه واستمع لكلماته، فقد كان يطربني بمثيلاتها قبل موته رحمه الله.

وغادرني بعد لقاء شفي أعماق قلبي، فنحن دائماً نحتاج لمن يُرشدنا إلي الطريق إذا ضللنا.

بعدها عشت في كنف أحفادي وأولادي، وكنت أزرع فيهم ما كان يمليه علي أبي في مناماتي، وكنت حريصا علي بناء الأسرة متماسكة البنيان؛ لإنها أساس المجتمع، وما دام الأساس قويا، فلا

خوف علي المجتمعات.

وكنت قرير العين عند رؤية أولادي متماسكين أيضا، يؤثر كل منهما بحقه للآخر، وكانت تُعطر المنزل نسمات الحب والمودة، حينها قارنت بين تلك الساعة وبين الماضي فابتسمت ورفعت يدي أدعوا لوالدي رحمه الله، فمن يُرسلون إلينا في شدائدنا لإنقاذنا من براثن الهلاك، لا نستطيع الوفاء بحقوقهم، ولكن ندعو لهم بحسن الجزاء.